الجزء الثامن



السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٦ ١٥ رمضان سنة ١٣٢٤

الآثار الشرقية في اميركا

حديث مع مسز سمث السائحة والكاتبة الشهيرة

هي والجامعة

دبلن نوهمشير — هو مصيف خاص بالاغنياء ومنازلهم فيه مزخرفة ومزينة بالآثار القديمة وحول كل منزل حديقة تظلها انواع كثيرة من الاشجار والازهار . فاذا دخلت الى اي منزلٍ من تلك المنازل شعرت انك تشهد الدنيا كلها بما فيها من محاسن وزخارف ومصنوعات الامم المختلفة القديمة والحديثة

والى جانب هذا المصيف الانيق جبل «ويس» اي جبل العلماء وحري بهذه الاكمة ان تسمى بجبل العلماء لانها ملتقى الفلاسفة والمخترعين ومحرري الصحف ومراسليها وغيرهم من اهل العلم فانهم يقضون فيها بضع اسابيع لاجل الراحة من عناء الاشغال . وكذلك يقصد هذا المكان باعة السجاد والحرير وبعض البضائع الشرقية على اختلاف نحلهم من سوريين وارمن واتراك ومعظمهم سوريون

كنت ذات يوم اطوف في هذا المصيف فصادفت منزل السائحة الشهيرة والكاتبة

المعروفة مسز سمث وزوجها المستشرق الشهير وهو المستشرق الذي ارسلته لجنة العلماء الى الديار المصرية والسورية للبحث عن الآثار القديمة ونسخ الرسوم واحرف الكتابة عن جدران المدن القديمة الخربة . فنزلت من عربتي وقرعت باب المنزل فما هي هنيهة حتى وافت سيدة جميلة باسمة وهي في مقتبل العمر ونضارة الشباب وكلمتني بالعربية الفصحى قائلة : « ادخل انما نحن شرقيون » فدخلت الى قاعة الاستقبال وهناك شاهدت شيخاً جالساً على كرسيٍ وفي يده كتاب عربي فتحققته وعرفت انه مقامات الحريري . فلما شعر بدخولي قال (اهلاً . على الرحب يا شرقي) . فرددت صدى مجاملته وجلست بالقرب منه وجعلنا نتحادث . وبعد قليل دخلت عقيلته وفي يدها علبة سيكارات مصربة وخيرتني بينها وبين السيكار فاخبرتها اني لست في عداد المدخنين

وبعد ما جلست افتتحت حديثها عن علماء سوريا ومصر وقالت : « اني آسفة كثيراً على ذهاب قوة هذين القطرين وعظمتهما ولكن القطر المصري ارقى حالاً من السوري . وعجبت من ان علماء سوريا يهاجرون الى مصر حتى ان معظم الجرائد المصرية ينشئها ويحررها سوريون مع ان الواجب يقضي عليهم ان يبقوا في وطنهم ليفيدوه . وقد علمت منذ مدة ان الدولة العثمانية منعت دخول بعض المجلات والجرائد المفيدة الى سوريا . فما هذا الظلم ! الا يشفق هؤلاء الحكام على رعاياهم السوريين . ولقد توغلت في نواحي لبنان وسوريا ووجدت قرى كثيرة لا مدارس فيها الاَّ مدارس رعي المواشي والنفخ في القصب ولعب الدبكة مع نسائهم . فما بال الحكومة غافلة عن فتح المدارس وارسال المعلمين لكي يهذبوا الصغار ويعلموهم . وما بال رجال الدين لا يرسلون الى هناك مرشدين »

وقد استرسلت مسز سمث بهذا الحديث حتى قالت : ــ « عندما كنت في ذات يوم جالسة مع احد علماء مصر انا وزوجي وزوجة العالم المصري شعرت ان الرجل مهتم بامر ذي بال فقلت له مالي اراك قلقاً اليوم وغاضباً خلافاً لعادتك ؟ فقال : ــ ايها السيدة نشأت في هذه الايام مناظرة بين المفتى الشيخ محمد عبده والجامعة بشأن ابن رشد وهو فيلسوف مسلم كما تعلمين وقد تفضي هذه المناظرة الى عاقبة وخيمة لان الظاهر من امر صاحب الجامعة انه قدير ومطلع ولا نعلم ماذا يجد . ولما سمعت منه هذا الكلام تقت الى مطالعة الكتاب والجامعة ولما ذهبنا من عند هذا الشيخ وقصدت الاسكندرية سألت هناك عن ادارة الجامعة حتى اهتديت اليها واشتريت منها اورشليم الجديدة وتاريخ المسيح والرد على فلسفة ابن رشد وانصرفت . وقد قرأت رواية اورشليم الجديدة وهي لو قرئت على صخر لتكلم وتفتت لما هي

عليه من الحب الطاهر المحزن . واظن ان صاحب الجامعة قاسي القلب والاَّ لما قدر ان ينسج رسائل الموت الاخيرة . وساهتم بترجمة هذه الرواية (١) في قالب تمثيلي واقدمها للمؤلف هدية اذا عرفت محل اقامته . واني مجتهدة كل الاجتهاد بترجمة « الخطبة على الجبل » التي فيها . وبعد ذلك سافرت من مصر وما عدت علمت شيئًا عن الجامعة

وعند هذا الكلام تناولت من جيبي مجلة الجامعة وقدمتها لها وقلت ان صاحب الجامعة الآن في نيويورك يصدر مجلته منها . فسرَّت بذلك سرورًا لا مزيد عليه

وبعد ذلك ارتني غرفة المطالعة . ولا اقدر ان اصف الكتب التي فيها . ولكن لما كان كل انسان يعبأ بلغته ارتني على الخصوص ما عندها من الكتب العربية واليك اسماء بعضها

ابن خلدون كامل الاجزاء . مقامات الحريري . مجمع البحرين . تاج العروس . لسان العرب . الكشكول . ابن خلكان . ابو الفداء . القرآن الشريف . تاريخ سوريا . معجم البلدان . ابن رشد . وهناك كتب اخرى كثيرة من تاريخية وفلكية وعلمية وادبية وشعرية وطبية وخلافها وكل هذه الكتب طبع اجانب كالهند وبرلين واكسفورد وتونس

وارتني نسخة من الكتابين اللذين تطبعهما الآن وهما من قلمها احدهما يسمى « الرحلة الافريقية » والآخر « الرحلة الشرقية » وهما مزينان برسوم بعض المشاهدات العجيبة والعادات الغريبة . ومن جملة رسوم « الرحلة الشرقية » رسم يمثل لفيفًا من الدروز في جبل حوران وامامهم حلة فوق الموقد وهم ملتفون حولها من رجال ونساء وبنات واولاد وامرأة ممتطية على جمل واخرى على ثور وغير ذلك . وهناك رسم آخر يمثل دروزًا مع نصارى في بعض قرى لبنان وبينهم عروس راكبة على فرس وبعضهم رافع جرن الكبه بقبضته اليمنى على ارتفاع ساعده . وهناك رسوم اخرى لسائر العادات في المآتم والحفلات المتنوعة

« والرحلة الافريقية » مزينة برسوم من هذا القبيل منها رسم يمثل عبيد افريقيا عراة

(١) شرع في اميركا الجنوبية احد ادباء السور بين المتخرجين في كلية عاليا في الارجنتين بترجمة « اورشليم الجديدة » الى اللغة البرتغالية . وفي هذا الشهر شُرع ايضًا في مكان آخر بترجمتها الى اللغة الفرنسوية بمراقبة مؤلفها . ومن ذلك يظهر ان في العزم ترجمتها الى اللغة الانكليزية ايضًا . فاذا انتظرت حضرة السيدة الفاضلة مدة قصيرة اصبحت في غنىً عن عناء ترجمتها

هاجمين برماحهم على جاموس برّي يريدون قتله . وهؤلاء العبيد كانوا بمعية مسز سمث عند رحلتها في تلك الصحارى وهي ممتطية جملاً وواقفة بعيدة عنهم

ثم خرجنا من غرفة المطالعة وطفنا الغرف الاخرى وعلى باب كل منها اسم البلاد التي تمثلها محتويات تلك الغرفة واخصها « اورينتل روم » اي « الغرفة الشرقية » وهنا حدّث ولا حرج فهي مزينة بالرمح والسيف والدبوس والترس والدرع والكوفية والعقال والعباءة والجبة (القنباز) وادوات القهوة والنقود القديمة من بني امية والعباس وما اشبه

ولما كانت الشمس قد قاربت المغيب خرجنا الى القاعة وابتدرتها بسؤالي كيف استطاعت التضلع باللغة العربية فقالت انها درست اصول اللغة عن مستشرق في مدرسة اكسفورد ومن بيروت ومصر حتى بلغت هذا المبلغ منها . وزوجها درسها في برلين واتمها في مصر

ثم ودعتها وشكرت لطفها وخرجت افكّر في ما سمعت ورأيت جرجي ابرهيم الحداد

٢٢ ايلول (ستمبر) سنة ٩٠٦

بوسطن ماس

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني (تابع لما قبله)

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

الطاقة قاعدة الضريبة (١)

لم يبقَ الاّ الطاقة اي القدرة على العمل اساساً لضرب الضريبة وذلك « لان الناس مكلفون ان يخدموا المملكة بقدر ما عندهم من القوة لخدمة انفسهم . وفي ما يلي اظهر المستر ووكر جلياً ان الطاقة هي الاساس الطبيعي لضرب الضرائب فقال : « تصوّر امة في اول تحضرها وهي قليلة العدد واعمالها العمرانية بسيطة والثروة الحقيقية عندها في ادنى معدلها وافرادها يكادون يتساوون في معظم الاعتبارات وحاجات البلاد محدودة . وافرض حينئذٍ ان عملاً عمومياً لازماً لحياة البلاد كانشاء خزان مثلاً يتلافى فيه شح المياه وطوفانها او

1 Faculty as the bosis of taxation

حفر ترعة لري الارض او نحو ذلك فكيف يتوزع هذا العمل على الافراد ؟ لا ريب ان طبيعة الحال توجب على كل افراد الامة القادرين على العمل ان يتعاونوا على المشروع وان يعمل كل منهم بملء طاقته على الاسلوب الذي يكون هو به انفع للعمل » ثم اوجز جداً بما مفصله : —

وفي هذه الحال نلاحظ امرين مهمين الاول انه ليس لاحد ان يستعفي من الشغل بدعوى ان لا نفع شخصي او خصوصي له من هذا المشروع الذي حكم الراي العام بانه مشروع عمومي نافع للبلاد اجمالاً ولا بحجة انه يتنازل عن نصيبه من منافعه لقناعته بعيشة بسيطة قشفة كأن يقتات من الصيد ونحوه . وذلك لان واجبات الانسان وهو واحد من الجماعة تختلف عن واجباته وهو فرد مستقل غير منتظم في سلك قبيلة او عشيرة او امة . فمتى تألفت جماعة او هيئة اجتماعية وكان ذلك الفرد عائشاً في وسطها قضت طبيعة الحال ان يندمج بها حتماً ويكون واحداً منها وان عنى في رايه وعمله غير ذلك وجب ان ينفصل عن الجماعة ويعتزل مكانها الى مكان آخر لئلا يكون عثرة في سبيلها او مادة غريبة عنها فيفسد عملها وان لم ينفصل من نفسه اضطرّ ان يطاوعها

واذا لم يكن بدٌّ من اندماج الافراد المتساكنين المتواطنين حتى يؤلفوا جماعة لم يكن بدٌّ ايضاً من اشتراكهم في المنافع وبالاولى اشتراكهم في التعاون على تحصيل تلك المنافع فاذا جعل الواحد يتخلف عن التعاون على العمل بعد الآخر بحجة استغنائه عن منافعه انحلت الجماعة اخيراً وكان اولئك الافراد اجزاء منفصلة في مكانٍ واحد يتقاطعون ويتضاربون في مصالحهم ويتنافون في منافعهم ويعرقل الطالح منهم الصالح ويفسد الكسول عمل المجتهد . والفرد القائل لا اعمل مع الجماعة لأني لا اطمع بالمنفعة بل اجتزىء عنها بما اناله بنفسي لنفسي يجب ان ينفصل عن الجماعة انفصالاً تاماً ويعتزلها الى مكان آخر لكيلا يكون عضواً عاطلاً فيها وعثرة في سبيلها فيجب ان تضحى ارادته لاجل ارادة الجمهور

ثانياً انه لا فرق بين المشتغلين من حيث المدة التي يشتغلونها مهما تفاوتوا في القوى العقلية والجسدية التي يبذلونها في العمل . اي لا يجوز ان يقول القوي او المجتهد او الذكي اشتغل نهاراً كلما اشتغل الضعيف او الكسول او البليد نهارين لانه بقدر ما يمتاز الواحد على الآخر بالقوة والاجتهاد في العمل المشترك يمتاز عليه في الانتفاع من ذلك العمل . واذا كان مجتهداً في العمل العام فهو بالاحرى مجتهدٌ في تحصيل المنفعة منه . ثم استرسل المستر ووكر قائلاً : —

«على ان هذه القاعدة – اي ضرب الضريبة بالنسبة الى الطاقة – خيالية في عهد المدنية ولكن تلجأ اليها القبائل التي في بدء تحضرها بحكم السليقة . وهي القاعدة التي لولا ما يقف في سبيلها من العقبات الفعلية نظراً لتشعب الحركات العمرانية لكانت احسن قياس واصحه للمزومية كل فرد بما عليه للمملكة وكل ضريبة تحيد بجوهرها عن هذه القاعدة لا بد ان يضحّى بها الانصاف ولو قليلاً . والضريبة التي تحيد بشكلها لا بد ان تكون حائدة بجوهرها ايضاً

« ومما لا بد من ملاحظته في هذا المقام هو ان اثقل الضرائب في هذا العصر حتى الخدمة العسكرية الالزامية في ارقى الممالك وافضلها نظاماً مفروضة بحسب هذه القاعدة . وفي ممالك اوروبا كلها تقريباً تجب الخدمة الشخصية في اثناء المصائب العمومية على الجميع من غير تمييز بين الغني والفقير والكبير والصغير . ولا ينكر ان هناك اشخاصاً معفين كأهل العلم ولكن اعفاءهم مبني على فرض انهم يخدمون البلاد خدمة اعظم ببقائهم في اشغالهم الشخصية المعتادة

« وليست هذه القاعدة خيالية فقط بل يكاد يستحيل وجودها الفعلي في ما اذا اقتصر عليها وحدها في البلاد الراقية المتشعبة الاعمال . فحيثما يكثر عدد الاهالي وتتنوّع المصالح وتتعدد الاعمال يستحيل على الحكومة ان تمرّ بكل فرد من افراد الامة لتنال نصيبها من خدمته عن يوم او عن سنة . ولذلك اقتضت السياسة ان تستنبط ضرائب مختلفة بعضها على النفقة وبعضها على الدخل وبعضها على راس المال الخ . وهذه الضرائب وان لم تكن عادلة نظرياً تمام العدالة قد اختيرت بغية تخفيف ثقل الضريبة على اشخاص الامة انفسهم ولاجل تمهيد العقبات من سبيل التجارة والصناعة

عودة الى ضريبة الدخل

« الساسة الحاليون ينفرون جداً من المجاهدة في جمع الضرائب العمومية المضروبة بحسب الطاقة . فاعدل ضريبة بعد « الضريبة بحسب الطاقة » انما هي « الضريبة على الدخل » فهي في نظر الرجل المالي تجبى من دخل كل طبقة من طبقات الامة . ومن رأي بعضهم ان نفقة المعيشة الضرورية لكل عامل مع اسرته الماخوذة من دخله يجب ان تعفى من الضريبة المذكورة لكيلا ينضنك الفقير الذي لا يكسب الاّ القوت الضروري . ويستحيل من وجه اقتصادي ان تؤخذ ضريبة على طبقة الفقراء الذين لا يكادون يحصلون على حاجياتهم . والدخل الذي لا يكاد يكفي معيشة صاحبه لا يمكن ان يستعمل

منه جزء صغير للمصلحة العامة لان الحكومة وهي تجبي الضريبة من الفقير باليد الواحدة يجب ان تحسن عليه من اليد الاخرى

«فمن اجماع الاقتصاديين على اعفاء الدخل الذي لا يكاد يفي بضروريات المعيشة من الضريبة لاسباب اقتصادية قد نشأت مسألة مهمة من المسائل العمرانية الحيوية في العالم المالي وهي: كيف تضرب الضريبة على الدخل الذي يزيد على حاجة صاحبه الضرورية ويمكنه ان يبذر منه او ان يوفره؟ اتؤخذ الجزية منه على معدل واحد بلا فرق بين وفرته وقلته ام على معدلات متفاوتة بالقيمة بحسب تزايده؟ — «اي كلما زاد الدخل زاد معدل الجزية المئوي المأخوذ منه كأن يؤخذ من كل من المئات الاولى واحدٌ مثلاً ومن كل مئة من عشرات المئات اثنان ومن كل مئة من مئات المئات ثلاثة وهلمَّ جرًّا»

(ستأتي البقية)

انشاء الروايات العربية

معاني رواية ابن الشعب

١

كثر في السنوات الاخيرة وضع القصص العربية فقلما يمرُّ شهر الا وتصدر بضع منها في البلاد التي فيها مطابع عربية . وهم يسمونها «روايات» وهذا خطاء في التسمية لان «الروايات» في اللغة الاحاديث المنقولة بالتواتر من فلان عن فلان عن فلان . فيلزم ان يكون هناك راوٍ ومروي عنه وحديث مروي . فاسمها الحقيقي اذًا «قصة» لانها عبارة عن احاديث ووقائع يتخيلها المؤلف و يقصها على قرائه . ولكن هذا الخطاء — اذا كان هناك خطاء — كان الاصمعي المشهور اول من وقع فيه في قصة عنترة . فانه يقول هناك في كل صفحة تقريباً «قال الراوي» وقصة عنترة اكثرها اختراع وابتداع كما هو معلوم . والخطاء او الاصطلاح الذي يجيزه رجل كالاصمعي يجوز ان يُعدَّ من الصواب المقبول

﴿ما يلزم الرواية﴾ على انه لو لم يكن في الروايات التي تنشر في اللغة العربية غير هذا الخطاء الاصطلاحي الصغير لكان الخطب هيناً . ولكن هناك مآخذ لا يصح السكوت

عنها وقد كثر انتشارها. فان كل من امسك قلماً في هذه الايام يرى نفسه قادراً على وضع رواية لان كل انسان يقدر على قص قصة وسرد حوادث يتصورها. وجميعهم يعلمون ان فن الروايات «علم باصول» ولكنهم يجرأون مع هذا على وضع هذه الروايات لثلاثة اسباب. الاول انعدام حرية النقد او بعبارة اخرى الجهل بحقيقة هذا الفن للاقدام على نقده. والثاني اعتبار القراء في الشرق الرواية عالماً خيالياً يُلهى به ساعة او نصف ساعة فلا يطلبون فيه غير قطع الوقت. والثالث قلة القراء في اللغة العربية فالروايات التي تظهر فيها لا يستفيد منها مؤلفوها فائدة حقيقية الا اذا كانوا اصحاب مكاتب ومطابع صناعتهم التجارة بالكتب. ولذلك قلما ترى كاتباً يجهد قريحته ويكد فكره وينضج رأيه في وضع رواية مهمة لانه يعلم ان الفائدة التي تنشأ عنها لا تعدل التعب الذي يُبذل في تأليفها وطبعها والجمهور لا يفهم منها سوى قصتها. واذا قيل ان حافظ افندي ابرهيم الشاعر المشهور قد عرب جزءًا صغيراً من رواية الميزرابل فجنى منه على ما قال الف جنيه (٥٠٠٠ ريال) فالجواب ان ما جناه المعرّب من هذه الرواية لم يكن ثمناً للرواية ولا جزاء تعبه فيها ولكنه كان تنشيطاً له من بعض سراة المصريين الذين دفع بعضهم ثمن النسخة الواحدة ٥٠ جنيهاً (٢٠٠ ريال)

وقد يظن بعضهم ان الروايات الموضوعة تعريباً تسلم من تلك المآخذ التي تقع في الروايات الموضوعة تأليفاً. لان شروط الرواية مستوفاة في الروايات الافرنجية الكبرى وما على المعرّب الاّ ان ينحو نحوها وينسج بردتها العربية. والحقيقة ان بعض الروايات الموضوعة تعريباً قد تجد فيها من التشويه وفساد الوضع والخرق في الرأي ما لا تجد مثله احياناً في الروايات الموضوعة تأليفاً. وسبب ذلك ان المعرب يتناول قلمه ويغير على تلك الرواية فيتصرّف فيها حذفاً واضافة فيقطع سلسلة اخلاقها البسيكولوجية ويشوه طبائع اشخاصها وينقص فيها ويزيد عليها من الحوادث ما لو رآه مؤلفها لقطع اذنه وجدع انفه ورضّ ساقيه وبقر بطنه تشويهاً له وتمثيلاً به كما شوه روايته ومثّل بها. وما زلنا نذكر مباحثات كثيرين ممن شهدوا تمثيل رواية (ابن الشعب) في مصر وقولهم في الجرائد وغير الجرائد انهم لم يفهموا اغراض هذه الرواية ومرامي مؤلفها. وحقهم ان يقولوا ذلك لان الذي ينظر في هذا الفن ولا يكون من اهله لا يدرك منه سوى سياق القصة وتفوته اغراضها الحقيقية التي بنيت الرواية عليها وكانت سبباً في انشائها

وقبل بيان اغراض المؤلف في هذه الرواية ناتي على بيان الصفات اللازمة للروائي ليصح ان يكون ما يكتبه معدوداً في جملة الروايات الحقيقية اي عوالم خيالية تنطبق صفاتها

واخلاقها على العوالم الحقيقية انطباقاً كلياً كانها صورة لها وكان اشخاصها اشخاصها مع زيادة في الصبغة الايدياليستية فيها ليكون غرضها رفع النفوس بدل انحطاطها

١ قوة الاختراع — اولى تلك الصفات قوة الاختراع والمراد بها ان تكون مخيلة الكاتب قادرة على اختراع حوادث واخبار تجعل في الرواية فكاهة ولذة . وبهذه القوة تنشأ في الرواية المشاهد والمواقف الكبرى التي تحتك فيها العواطف والاميال والمبادىء احتكاكاً شديداً تستاسر لب القارىء . وكان ديماس راس المبرزين في هذه القوة . الا انه يجب ان لا تتجاوز هذه القوة حدّ المعقول المقبول والا عدّت من سقط المتاع كروايات بونسون دي ترايل . ولما سُئل تولستوي منذ مدة عن رايه في رواية غوركي (الطبقة السفلى) التي جعلت له بين كتاب اوروبا منزلة سامية اجاب انها جيدة ولكن ينقصها قوة الاختراع . ولكن كثيرين يقولون عن روايات تولستوي نفسه مثل هذا القول لانها انما تمتاز بمبادئها وآرائها وصبغتها الفطرية لا باختراع حوادثها

٢ قوة الحركة — والقوة الثانية (قوة الحركة) فان تلك الحوادث التي يجيد المؤلف في اختراعها اذا لم يجعلها (متحركة) سئم قارئها وملّ قراءتها . والحركة كانت مزية ديماس الكبرى . فانك تعرف تاريخ اشخاص روايته واخلاقهم ومزاياهم وماضيهم وحاضرهم مما يقوله غيرهم عنهم في الرواية لا مما يقوله المؤلف نفسه . وكل من قرأ رواية لا يجهل انه يفضل ان يقرأ مباحثات اشخاصها على قراءة تعليقات مؤلفها . والاجادة هنا هي في جعل « حوادث » الرواية منبثة عن اخلاق اشخاصها . وكم من مرّة قرأنا فصولاً لكبار نقاد الروايات الفرنسوية يقولون فيها عن فصل في احدى الروايات ان حوادثه غاية في حسن الاختراع ولكنه « جامد » تنقصه الحركة . وهم يعتبرونها في مقدمة شروط الروايات الجيدة

٣ وحدة السياق وتنوع الموضوع — والشرط الثالث في تأليف الرواية « وحدة السياق وتنوع الموضوع » والمراد بوحدة السياق رسم طريق للرواية تبتدئ في اولها وتنتهي في آخرها دون ان تخرج الرواية عنها في اثناء تقلباتها . فكأنها سلك يمدّه رجل بين طرق ضيقة وشوارع واسعة فيوغل فيها ولكن السلك في يده وهو يعرف من اين ابتدأ والى اين ينتهي . والمراد « بتنوع الموضوع » جعل مواضيع الرواية التي تتفرع من ذلك السياق متنوعة متفرّعة لاجتناب ملل القارىء اولاً واستيفاء البحث في اخلاق اشخاص الرواية ثانياً . ومن اقوال الفلاسفة ان الطبيعة واحدة من حيث مادتها ونواميسها ولكنها متنوعة من حيث صوّرها واشكالها . وهم يسمون هذا باسم ورد ذكره في الجزء الاول لهذا العام وهو « التنوّع

في الوحدة ». وما يقال في الطبيعة يقال في الرواية لان « الوحدة المقرونة بالتنوع » اساس قوة كل شيء وجماله في العالم . وبدونها تكون الحياة مضطربة مضجرة

٤ قوة البسيكولوجيا والسسيولوجيا — يصح ان يقال ان هذه القوة اهم القوات الضرورية للرواية . ولما كانت مواضيع الرواية تشمل جميع الحوادث والحالات التي تطرأ على اشخاصها وعلى الوسط الذي يعيشون فيه كانت الرواية محتاجة الى اكثر اصناف العلوم . فهي تحتاج الى علم الطبيعة لكي تبنى آراؤها ومبادئها واخلاق اشخاصها على دعامة علمية اي على النواميس الطبيعية والا كانت نسيج اوهام وخرافات . وتحتاج الى علم تقويم البلدان « الجوغرافيا » لمعرفة البلاد التي يُكتب عنها وطبائع اهلها وهوائها . وتحتاج الى علم التاريخ خصوصاً اذا كانت تاريخية . وقد تحتاج الى سائر العلوم اذا كان لمواضيعها اتصال بها . ولكنها اذا احتاجت الى جميع هذه العلوم احياناً وامكنها الاستغناء عنها جميعها احياناً فهناك علمان لا يمكنها ان تستغني عنهما اصلاً وهما علم البسيكولوجيا وعلم السسيولوجيا

علم البسيكولوجيا او « علم النفس والاخلاق » اول شيء يجب على الروائي الاطلاع عليه . وهو قسمان مصنوع ومطبوع اي اكتسابي وغريزي . فالبسيكولوجيا الاكتسابية يستفيدها الكاتب من مصدرين . الاول درس كتب البسيكولوجيا والثاني مراقبة الطبيعة والبشر لملاحظة اخلاقهم واحوالهم في جميع اطوارهم . وقد كان موليير الروائي المشهور يصرف مدة من وقته كل يوم في الجلوس في دكان حلاّق حيث يحتشد الناس عادة من طبقات مختلفة وهناك يراقب اخلاقهم ويسمع احاديثهم . والبسيكولوجيا الغريزية هي قوّة غريزية تكون في نفس الدارس يقدر بها على استنباط مكنونات النفوس واستنتاج اخلاقها وتصوير حالاتها دون ان تدري هي بها . وهي هبة من الطبيعة لتلك النفس وان كان بعض علماء الاخلاق يقول ان الدرس والاختبار قد يؤديان اليها : قال بوفون العالم الطبيعي الفرنسوي ان نبوغ اعاظم الرجال ناشئ عن تعبهم وصبرهم على الدرس (١) قلنا هذا قول صحيح في العلوم الطبيعية التي لا يستلزم الاكتشاف والاختراع فيها قوة نفسية بل قوة عقلية . واقرب شاهد على ذلك باستور وسبنسر وقد عدَّ الفيلسوف نيتش نفس سبنسر في جملة النفوس الاعتيادية (٢) . ولكن علم النفس والاخلاق وعلم الادب والفنون الجميلة لا تقاس بتلك

1 Le Genie C'est la patience

2 Mediocre اي متوسط بين الكبير والصغير

العلوم . فان ملتن وشكسبير وهيغو ورنان وجوت وواتيير لولا ان الطبيعة خصتهم بنفوس كبيرة جميلة راقية لما قدروا ان يبرزوا شيئاً مما ابرزوه في تآليفهم من آيات الجمال والكمال ولو قطعوا اعمارهم درساً . وهل يصير غير الشاعر شاعراً حقيقياً بمجرد الدرس وقرض الشعر

فالبسيكولوجيا الاكتسابية والغريزية اهم ضروريات الرواية لانها تصون المؤلف من الوقوع في الاغلاط الفاضحة بشأن اخلاق الاشخاص الذين يتكلم عنهم وتمكّنه من تصوير اخلاق بشرية حقيقية منطبقة على اخلاق البشر في الدنيا بسيكولوجياً . وكم من مرة تصفحنا بعض الروايات التي تنشر بالعربية حتى اهمها واشهرها فرأينا الكاتب يصوّر اخلاق اشخاصه في اول الرواية تصويراً لا ينطبق على اخلاقهم في آخرها من الجهة البسيكولوجية . فانه مثلاً يجعل مزاج الشخص في البدء عصبياً ثم تراه في الخاتمة يجعله يسلك مسلك ذي مزاج دموي محض . واغرب من هذا انك تراه يجمع في نفس اشخاصه صفات متقابلة متناقضة تتبرأ البسيكولوجيا منها . واحياناً تراه يجعل (شخصه) يجيب اجوبة لو اطلع عليها اصغر كاتب ملمّ بمبادىء البسيكولوجيا بعد اطلاعه على الاخلاق التي صوّرها المؤلف له لقال (هذا تخريف لا تأليف) والحوادث المستخرجة من تلك الاخلاق قلما تكون لازمة عنها خارجة منها بحكم البسيكولوجيا وانما هي مجذوبة جذباً لتكون نتيجة لها وما هي بنتيجة لها. وهذه العيوب الفاضحة لا تظهر في الشرق لانها لا تظهر الا لعين الناقد البصير . ولذلك يعجب بعض القراء السذج بتلك الروايات . ولو نشرت في الغرب حيث الجمهور يميز بين الفاسد والصحيح لكانت في جملة الروايات الضعيفة التي لا يلتفت اليها احد من افراد الجمهور الراقي

وما قلناه في البسيكولوجيا نقوله في السسيولوجيا اي علم الاجتماع البشري . وهذا العلم ضروري لمؤلف الرواية لسببين الاول ان جميع الروايات المهمة في هذا العصر اصبح غرضها (اجتماعياً) واذا كان الفيلسوف اوغوست كونت واضع الفلسفة الحسية او الوضعية قد اثبت ببراعة مشهورة قبل تلميذه سبنسر ان جميع العلوم من اكبرها الى اصغرها تنتهي الى السسيولوجيا وان السسيولوجيا هي غرض تلك العلوم فاحرِ بالروايات ان يكون غرضها السسيولوجيا ايضاً اي البحث في حالات المجتمع البشري لترقيته وانماء قواته النافعة وافناء قواته المضرّة . والروايات بعد الصحف او قبلها من اهم ذرائع هذه الترقية . بل هي في الشرق اشد تأثيراً من الصحف في هذا الشان لان الوفاً من عامة القراء لا يقرأون الجرائد ولكنهم يقرأون الروايات . فهنا للرواية وظيفة اجتماعية عليا دونها وظيفة جميع الصحف والمدارس والكليات . لانها المدرسة الاولى للشعب الساذج الجاهل . واننا نشفق من

صميم قلبنا على هذا الشعب حين نرى السم الزعاف المدسوس في بعض الروايات العربية التي يقراءها

٥ً درس هذا الفن – كما ان العالم لا يصير عالماً الاَّ بالدرس والبحث والصانع لا يصير صانعاً الا بالاكباب على صناعته فكذلك الروائي لا يصير راوياً الاَّ بدرس فنه . ولكن ليس للروايات مدرسة تعلم فيها اصول هذا الفن وانما مدرسته امران . الاول (مطالعة روايات اكابر المؤلفين) والثاني (مطالعة كتابات مشاهير نقادي الروايات)

اما الامر الاول وهو مطالعة روايات اكابر المؤلفين فاظهر دليل على انه المدرسة الحقيقية لمؤلفي الروايات ما كتبه اسكندر ديماس الكبير عن نفسه . فقد قال ما خلاصته انه لما عقد النية في شبابه على ان يكون مؤلف روايات اخذ يطالع جميع الروايات المشهورة لاكابر المؤلفين فرنسويين وغير فرنسويين . فصرف وقتاً طويلاً في درسها والتأمل فيها وتدبر اغراضها ومراميها . فاتي عليها كلها حتى انطبعت في ذهنه اساليبها وطرقها واختلطت في فكره وقائعها ومذاهبها . وبعد ذلك شرع في الكتابة . فكتب الرواية الاولى واحرقها لعدم رضائه عنها . ثم كتب الثانية والثالثة واحرقها ايضاً . ولما كتب الرابعة دفعها للتمثيل فكان لها دوي في باريز . وقد حضرها احد امراء العائلة المالكة وكان ديماس مستخدماً عنده فلما ذُكر اسم المؤلف للجمهور نهض الامير من مجلسه ورفع قبعته لمستخدمه ديماس اكراماً وتنشيطاً له

فالروايات المشهورة الجيدة هي خير مدرسة لمؤلف الروايات لانها خلاصة الاختبار والعلم في هذا الفن . ولكن هذه المطالعة وحدها لا تكفي الراغب في التأليف فيه اذا لم يكب على الامر الثاني (درس اقوال نقادي الروايات) اكبابه عليها

من تصفح الجرائد الفرنسوية الكبرى وغيرها وجد فيها فصلاً مخصوصاً ينشر في كل يوم اثنين في ذيل الجريدة لاحد النقدة المشهورين وموضوعه نقد الروايات التي تمثل في خلال الاسبوع . ورب احد هؤلاء النقدة تدفع له الجريدة اجرة للمقالات الاربع في الشهر راتباً يعدل راتب وزير . وقد كان سارسي كبير النقادين في القرن التاسع عشر بعد سنت بوف يكتب في جريدة الطان وكان الممثلون والمؤلفون اذا رأوا في وجهه وهو في لوجه دلائل الاستياء وعدم الرضى ترتعد فرائصهم خوفاً لانه كان على رأيه المعوّل . فدرس كتابات هؤلاء النقدة وغيرهم من نقدة اوروبا من اهم واجبات كاتب الروايات . لانه يستفيد من كتاباتهم نتيجة اختبارهم هذا الفن واختبار مشاهير النقدة الذين تقدموهم فيه منذ نشأته .

وقد كنا نقرأ نقد سارمي في الطان بلذة كبرى فلما توفي اصبحنا نقرأ نقد المسيو اميل فاكه في جريدة الديبا وهو من رجال الاكاذمي واشهر النقدة الفرنسويين اليوم · على ان كتب النقد الروائي كثيرة في اللغة الفرنسوية لمن يطلبها · وهي اهم واصح من الكتب الغير الفرنسوية لان الفرنسويين ما زالوا متفردين في هذا الفن في اوروبا كلها

٦ عاطفة الجمال — والشرط السادس والاخير من شروط وضع الروايات التزام (عاطفة الجمال) فيها لان تأثيرها وحلاوتها متوقفان على ذلك · ويدخل في هذا امران · الاول (جمال موضوعها) والثاني (جمال سبكها) اما جمال موضوعها فمتوقف على الاجادة في الصفات الخمس التي تقدم بسطها · واما « جمال سبكها » فالمراد به نسجها بلفظ عذب ومعنى طلي وروح جلي فيجد القارىء حين مطالعتها من الحلاوة والعذوبة ما يستأسر لبه · واذا كان الجفاف والجمود في الانشاء مما يُغتفر في المباحث العلمية والتاريخية لان الغرض منها تقرير الحقائق سواء كان لباسها من نضار او كان عليها اطمار فان ذلك مما لا يُقبل في الروايات اصلاً لان العمدة في الروايات انما هي على التأثير في نفس القارئ لجذبه الى مبادئها وشرح صدره بحلاوتها · وهذا الجذب والتأثير لا يتمان الا « بعاطفة الجمال »

هذا ما رأينا بسطه في هذا الفصل لعلَّ فيه فائدة · وفي الفصل التالي سننجز ما وعدنا به من شرح مغزى رواية ابن الشعب ومراميها

﴿ رجاء الى المشتركين ﴾ نرجو من كل من يراسل الجامعة ان يجعل عنوانه في كتابه بخط واضح باللغة العربية والانكليزية معاً اجتناباً للخطاء وتسهيلاً للعمل وله الفضل

﴿ شيء عن رأيهم في الجامعة ﴾

« نفس لطيفة ونفس حار يتسربان الى القلوب فتضمها من غير تردد . يقرأُها الرجل وهو متكئٌ على فراشه قبل الرقاد على ضوء الشمعة . يقرأُها في الوقت الذي لا يريد ان يزعج تأملاته شيء من ضوضاء هذا العالم فينقبض وجهه وينفرج صدره وتبدو عليه علائم التأمل والافتكار وقلما يمضي عليه دقيقتان او ثلاث دقائق من وقت المطالعة بدون ان يتوقف عن المطالعة ويتنهد او يعيد قراءة ما اطلع عليه ويجمد متأملاً . ولكي يطلع صاحب الجامعة على ما يوجب التنهد والجمود نقول له ان القارىء حينئذٍ يقرأ له في كتابته عاطفة كانت تجول في صدره ولا يقدر على تعليلها وهي مشروحة شرحاً وافياً كأَنه اذ كان يكتب كان يشعر بقلب المطالع

« والذي حدث لي انا من هذا القبيل كان اذ كنت اطالع وصايا استير في روايته اورشليم الجديدة خصوصاً الوصية التي تتخوف بها تلك المسكينة من رقص الوحوش والضباع على قبرها . اني انا ايضاً قبل ان طالعت الرواية كنت ارى من نفسي انقباضاً ان أُحصر بعد الموت في قبر ضيق بعيداً عن الانس في وحشة مظلمة

« قلب به الم من الهيئة الاجتماعية ينفر من مخالطة الناس ويستأْنس بالوحدة ليلهو بافكاره الرقيقة ولا يقاطعه في تأَمله شيءٌ من ضجيج المجالس . وكأَني به الآن على اثر مطالعتي الجامعة وانا في البرازيل وهو في الولايات المتحدة وما بيننا بحور طويلة عريضة اراه يضاحك الناس تكلفاً ويماشيهم مضطرباً الا ما ندر ولا يصدق ان يُترك لوحده حتى يعود الى ملذته

« صدر واسع ولكنه لكثرة ما يضمُّ من العواطف قد ضاق على صاحبه فهو وان يكن هادئاً في ظاهره فهو مضطرب في داخله ويلذ له ان يكون مفكراً لان في الفكر سروره » (جريدة ابي الهول)

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

مشاهدات في اميركا

قوات اميركا العظمى

﴿ المدرسة ﴾ ذكرنا في المقالة السابقة بعض الاسباب الرئيسية التي تنشئ قوات اميركا العظمى وهي ١ً جامعة عادلة قوية ٢ً المجالس النيابية ٣ً قوة المعارضة بين الاحزاب لبقاء الافضل ٤ً حرية الجرائد . ولكن هذه الاسباب كلها لم تكن لتؤثر تأثيراً فعالاً في انهاض الامة وترقية شؤونها اذا لم يكن هناك عنصر قوي يمدها بالقوة اللازمة لقيامها وقوتها . ورب امة اجتمعت فيها هذه الاسباب الاربعة ولم تبلغ من العز والارتقاء مبلغاً يستحق الذكر وذلك لفقدها هذا العنصر القوي . ونريد بهذا العنصر « المدرسة »

ان القول بان المدرسة اساس نهضة الامم قول مألوف بين الكتاب والقراء في الشرق . وقد نقلنا منذ سنين قول بسمارك حين سئل بماذا تغلبت امتكم على الامة الفرنسوية في سنة ١٨٧٠ فاجاب « بمعلم المدرسة » . وقد رأينا هذا القول بعد ذلك على شباة كثير من اقلام الادباء وفي صفحات كثير من الجرائد . وقد قامت في مصر وغيرها من اقطار الشرق في السنوات الاخيرة صيحة تصم الآذان بشأن الكليات والمدارس والكتاتيب . فبعض الادباء ينشئ الكتاتيب ليجعلها مورداً للرزق وبعض الاغنياء ينشئها طلباً للشهرة وبعض الجمعيات ينشئها ليكون لها غرض تجتمع حوله . ولا تزال نهضة الكتاتيب وضجتها قائمة في مصر حتى هذه الايام لان الذين ينشئونها قد سمعوا من قادتهم ان انشاء المدارس خير من انشاء الجوامع والكنائس . ولا نزال نذكر قولاً لجريدة المؤيد بهذا الشان حين طلب بعض من اهالي الريف من المرحوم منشاوي باشا المثري المصري الشهير ان يتبرع باصلاح جامع بلدتهم المتداعي . قالت ما خلاصته « ان كثيراً من الجوامع في الريف متداعية متقلقلة . فاذا طلب اهل كل قرية مثل هذا الطلب من منشاوي باشا اضطر ان يوزع ثروته على هذه الجوامع بلا فائدة . لان المسلم يمكنه ان يصلي في كل مكان والدنيا كلها جامع له .

وانما حاجته الاولى الى المدارس فيجب تقديم انشاء المدارس على اصلاح الجوامع او انشائها ٠

وحقاً ان الكاتب الذي في نفسه اقل حب للحقيقة والاخلاص وارتقاء الشعوب يشعر بارتياح وقشعريرة في نفسه حين يقرأ قولاً جميلاً كهذا القول من جريدة اسلامية او مسيحية ٠ واذا كان بعيداً عن مصر وسمع اقوالاً كهذه الاقوال ورأى في جرائدها المقالات والاحتفالات بشأن الكتاتيب ومدارس الجمعيات خيل له ان مصر قد بلغت منها الغاية التي ما بعدها غاية ٠ وقد رأينا اثر هذا الوهم في كثير من الجرائد التي لم تعرف مصر الاّ بما قرأته عنها ٠ والحقيقة ان الكتاتيب والمدارس الاهلية التي تنشأ اليوم في مصر وجودها وعدمها سيان ٠ بل قد سمعنا بعض اكابر وفضلاء المصريين ممن لهم علاقة ببعضها وهم اعرف الناس بها يقولون ان وجودها اشد ضرراً من عدمه وانه خير لهم لو انها لم توجد ٠ وسبب ذلك ان هذه المدارس والكتاتيب لا تقوم بشيء من وظيفة « المدرسة الحقيقية ٠

وليس في الدنيا بلد تظهر فيه وظيفة المدرسة الحقيقية ظهوراً جلياً كالبلاد الاميركية ٠ وانك اذا رفعت هذه المدارس من الولايات المتحدة فقدت اميركا اساس قوتها واول مبادئها الفعالة في نهضتها

ونرجو من القارئ ان يلاحظ اننا لا نريد هنا « بمدارس اميركا » كلياتها العلمية ومدارسها الزراعية والصناعية والتجارية فاننا نعرف في اوروبا وعلى الخصوص في انكلترا والمانيا وفرنسا كليات ومدارس ارقى واعظم من الكليات والمدارس الاميركية من الجهة العلمية والفنية ٠ وانما تفضل الكليات والمدارس الاميركية الكليات والمدارس الاوروبية بامر واحد شديد الاهمية وهو جعلها التعليم فيها منطبقاً كل الانطباق على حاجات الشعب ومقتضيات العصر الحديث الذي اصبحت المعيشة فيه جهاداً هائلاً بين الناس ٠ فهي تلقن طلبتها كل ما ينفعهم في هذا الجهاد ويقويهم عليه وذلك اولاً بتقوية ابدانهم وتنشيط نفوسهم بالرياضة والالعاب البدنية التي اشتهرت بها اميركا دون سائر الامم وثانياً بتعليمهم تعليماً عملياً Pratique فبينما ترى المدارس الفرنسوية مثلاً تدرّس طلبتها شعر بوالو وراسين وكورنيل واللغة اللاتينية طبقاً لبروغرام التعليم في القرن السابع عشر والثامن عشر ترى الاميركان يضعون كتباً Pratiques لاثارة الحياة والنشاط في نفوس ابنائهم ودلالتهم على طرق معيشتهم ٠ فاذا خرج تلميذهم من المدرسة ودخل مدرسة الزمان كان قادراً على المعيشة فيها بسهولة لان مدرسته سلحته بجميع الاسلحة اللازمة للفوز في هذه المعيشة ٠ اما التلميذ الاوروبي فيخرج من مدرسته مشحون الذهن بمبادئ خيالية وافكار

كتبيّة (١) لا تنفعه في مدرسة الزمان بل ربما جرّت عليه ضراً شديداً. وكنا في الشرق قد عرفنا ذلك حق المعرفة اما من انفسنا او من الطلبة الذين نراهم يخرجون من مدارسه امامنا. وهذا واأسفاه العلة الاولى في بلائنا وضياع قوى شبيبتنا وآلامها الشديدة قبل ان تتمكن من اصلاح ما افسدته المدرسة الشرقية في نفوسها

كلاّ ليس مرادنا في كلامنا هنا عن (المدرسة الاميركية) الكليات والمدارس الفنية التي تقدمت الاشارة اليها وانما نريد بها (المدرسة الابتدائية). وانك لتعلم (حقيقة وظيفة) هذه المدرسة في هذه البلاد مما يلي

﴿كيف يكون الامتزاج والاستغراق﴾ كلنا نعلم ان الشعب في هذه الجمهورية العظمى قد تألف من عدة عناصر مختلفة بين انكليز والمان وايرلنديين وهولانديين ونروجيين وايطاليين وفرنسويين وغيرهم. ولا يزال يهاجر اليها في كل عام نحو مليون نفس من عناصر مختلفة. فانظر ماذا تفعل (المدرسة الاميركية) هنا. انها تأخذ ابناء هذه الملايين الضعيفة القاصرة الفقيرة المهاجرة اليها وتعلّمهم تعليماً واحداً. وهذا التعليم الزامي فاننا نكتب الآن هذه السطور والحكومة المحلية تنشر بين اهالي نيويورك وملحقاتها وفي جرائدها منشوراً تطلب فيه منهم ان يذكروا لها عدد الاولاد عندهم وسنهم وفي اية مدرسة يتعلمون. والأب الذي يبلغ ابنه السنة الثامنة من عمره ولا يبعث به الى المدرسة الابتدائية تحق عليه الغرامة وقدرها ٢٠ ريالاً او السجن شهراً. وعليه ابقاؤه في المدرسة حتى السادسة عشرة على انها تعفي الولد من المدرسة في السنة الرابعة عشرة اذا اثبت لها الأب انه يستعمله عند بلوغه هذا السن في عمل نافع له ولمستقبله. وليس غرض الحكومة في هذا نفع الولد فقط لانها القيّمة الشرعية عليه بل لها من ذلك غرض لمنفعتها ايضاً. فانها لا ترمي فقط الى رفع هذه النفوس الصغيرة القاصرة الضعيفة بتعليمها القوي الى مرتبة النفوس العزيزة القوية لتجعل منها رجالاً بل غرضها ايجاد امرين. الاول توحيد اهلها وسكانها بتربيتهم تربية واحدة وجعلها

(١) تنبه الاوروبيون الى هذا الامر في السنوات الاخيرة فقام كثيرون منهم يدعون الى اصلاح بروغرام التعليم. ولما شرعت فرنسا في ذلك منذ بضعة اعوام عارضها فيه اساتذة الحزب القديم بحجة ان (الجمال) الموجود في التعليم القديم لا يجده الطلبة في التعليم الجديد. وكتب يومئذٍ الاستاذ الفريدفوليه من مشاهير الاساتذة في مجلة العالمين يقول ان (المبادىء الانسانية الجميلة القديمة) ستموت بهذا التعليم. ولكن الحكومة تغلبت على هذا الحزب بجعلها بروغرامها وسطاً بين التعليم العملي التجاري المحض والتعليم الايدياليستي المحض. وهو الصواب

لهم جامعة واحدة وهي الجامعة الاميركية . وبذلك تأمن الانقسامات الجنسية التي تمزّق احشاء الامم الاوروبية لا سيما وان هذه الانقسامات قد تبلغ هنا اشدها اذا لم تتلافها وذلك لتعدد الجنسيات والاقوام الذين يعيشون فوق ارضها . والامر الثاني انها تعلم ان الامة بافرادها فاذا كانوا رجالاً اقوياء اذكياء مدرّبين على الحياة استفادت الامة من قواهم البدنية والعضلية واذا كانوا ضعفاء جهلاء بلداء كانوا حملاً ثقيلاً عليها وسبباً لاضعاف الاقوياء فيها . ومنذ مدّة اقترح بعض النواب الاميركان على مجلسهم تضييق باب المهاجرة على المهاجرين بفرض ضريبة عليهم قبل دخولهم وايجاب امتحانهم في القراءة والكتابة والحساب وبعض الدروس الادبية . ولا يزال هذا الاقتراح في دائرة البحث . فقامت على اصحاب الاقتراح قيامة بعض الجرائد وفي مقدمتها « الجورنال » في نيويورك . وكان من اهم حجج « الجورنال » ان هؤلاء المهاجرين الذين تبغون مضايقتهم انما يمنحون الامة الاميركية رجالاً لا تستغني اميركا عنهم . فان الواحد منهم يحمل الاثقال والتراب والآخر يعالج الحديد في المعمل والثالث يموت ويحيى في النهار بعمله الشاق — وكلهم لا يتعبون و يضنون و يسقمون الا وغرضهم تعليم اولادهم . واولادهم بعد ان يتعلموا هم لنا خير الرجال لانهم يصبحون اميركيين قلباً وقالباً

﴿ ظهور هذا الاثر في السوريين ﴾ ادخل اية مدرسة شئت من المدارس الاميركية هنا وقف عند اي ولد من اولادها . قف مثلاً امام فتىً اسمر اللون اسود الشعر والعينين عصبي المزاج حاد النظر كانّ عينيه من نار وسله من اي قوم انت ؟ ولا ريب في انك تلقي عليه هذا السؤال وانت لا تجهل انه سوري او يوناني او اسباني (١) لان صفات جسمه تدل على ذلك . فتسمعه يجيبك وقد ازداد اتقاد عينيه ورفع رأسه بكبرياء كانه على قصره يريد ان ينطح به السماء « انا اميركي » ولا يستثنى من « هذه الكبرياء الوطنية الاميركية » ولد حتى ابناء الانكليز والفرنسويين انفسهم . فان جميع الاولاد الذين دخلوا المدرسة الاميركية وذاقوا حلاوتها واعتادوا نظافتها و ترتيبها وتعليمها السهل المفهوم واناشيدها الجميلة والاعيبها الرياضية المقوية ورفق معاملتها وحماسة التربية القومية فيها كلهم لا يريدون ان يكونوا الاّ اميركيين . حدّث احد الآباء السوريين قال . انني على مذهب كذا (وهنا سمى مذهباً مسيحياً) وابني في الثانية عشرة من عمره يتعلم في المدرسة الاميركية . وكنت

(١) كثيرًا ما سمعت بعضهم في فرنسا يسأَلني قائلاً « اظن انك اسباني » ذلك لان الاسبان شديدو الشبه بالسوريين واليونان . وقد اخذوا هذا الشبه من الدم العربي الذي امترج بدمائهم من دول الاندلس العربية

الح عليه ان يرافقني الى كنيستي للصلاة فيها فيجيبني اننا نصلي في المدرسة . وفي ذات يوم تغلبت عليه واقنعته برافقتي فذهب معي الى كنيستي . ولما عدنا منها سألته عن رأيه ، فاجاب ضاحكاً لم افهم شيئاً وانني استغرب هذه الصلاة وهذه آخر مرة ارافقك اليها (١)

وحدّث اب آخر قال : لما حمي وطيس الخلاف والنزاع بين السوريين هنا اخذت بعض الصحف تطعن عليّ طعناً شديداً . ففي ذات ليلة قصدت منزلي مضطرباً ثائراً فسألني ابني وهو فتىً في الخامسة عشرة ما سبب غضبك ، فاخبرته عن السبب ، فضحك وقال (« انتم » ايها السوريون تشتغلون دوماً بالسفاسف والصغائر ، فماذا يهمك او يضرك ان تطعن الصحف عليك . ان هو الا كلام ذاهب في الهواء ، اما رأيت ان الصحف الاميركية تطعن على « رئيسنا » روزفلت نفسه) قال الاب وانني الآن نادم لانني لم افعل طبقاً لرأي ابني

قلنا وان مدرسة تعلم صبيانها تعليماً يجعلهم اهل فهم ورزانة وعقل يفوق فهم الكبار وعقلهم ورزانتهم لجديرة بكل احترام وشكر من المهاجرين السوريين ، ومصلحتهم الكبرى ومصلحة امتهم في مستقبلها في هذه البلاد انما هي في ان يجعلوا المدرسة الاميركية على الدوام المربية الوحيدة لابنائهم دون ان يفكروا بانشاء مدارس وطنية شرقية تبقي وتخلّد في نفوس الابناء ذلك الارث القبيح الذي تركه لهم الآباء وهو ارث النفس الشرقية وما يتبعها من قصور فاضح في التعليم والتربية والانقسامات المعلومة

واننا كلما جلنا في شوارع نيويورك وبروكلن ورأينا ابناء السوريين وبناتهم يلعبون مع ابناء الاميركيين وبناتهم ولا فارق يفرق بين الفريقين في النشاط والقوة والذكاء واللغة واللباس والنظافة غير السحنة الشرقية الجميلة لا نتمالك ان نقول ونحن مارون في طريقنا.

ـ اي نعم ايتها المدرسة الاميركية الصغيرة ، انتِ قوّة اميركا الكبيرة واساس عظمتها وسلك وحدتها ، بكِ تُبزر في نفوس ابناء هذه الامة اول بزور القوة والشهامة والشجاعة والاخاء بين الشعوب والادب والجمال . منكِ تبتدئ الخطوة الاولى في سبيل العظمة الاجتماعية وجميع المدارس الكبرى والكليات العظمى والمجامع العلمية والمحافل السياسية التي تأتي بعدكِ انما تبني على اساسكِ . فيكِ العناصر والجنسيات والمذاهب المختلفة تجد الحكم العادل بينها المسكّن نفوسها وآلامها والمحرّك العظيم الذي يمزجها بعضها ببعض مزجاً لطيفاً دون اصطدام ولا احتكاك ويُخرج منها في النهاية شعباً جديداً يطيب له هذا الامتزاج والاستغراق لانه يرقيه وينقذه من نقائصه الاولى

(١) لا نستحسن هذا الانقسام المذهبي في العائلة ولكننا ذكرنا هذا المثل لبيان تأثير هذه المدرسة

نبوغ واختلال

او

﴿ رواية قان ﴾ (١)

تعريب « احد الكتاب المجيدين »

هي رواية غرامية ادبية فكاهية سياسية وضعها اسكندر ديماس الاب وعربها للجامعة (احد الكتاب المجيدين) وموضوعها بيان ما يرافق نوابغ الرجال من اختلال الاحوال ووصف بعض طبقات الانكليز العليا وما كان يقع بينها من الحوادث الغرامية والخلاعة . ومدار الرواية على « قان » Kean اشهر واعظم ممثلي الانكليز في القرن التاسع عشر (ولد سنة ١٧٨٧ وتوفي سنة ١٨٣٢) وكان شمس انكلترا وقمرها في تمثيل الروايات الجدية ومناظر البرنس دي غال ولي عهد انكلترا لذاك العهد في نفقاته وحوادثه الغرامية .

والرواية مبنية على تنازعهما قلب حسناء من اكابر السيدات . ويظهر فيها مقام الممثلين في تلك البلاد

الفصل الاول

كان في تلك الليلة حفلة رقص في منزل الكونت كفلد سفير ايطاليا في لندن . وبينما كانت ايلينا زوجته تكتب كتاباً في المساء وخدامها يعدون آخر المعدات لتلك الليلة واذ

(١) مما سرّنا في تعريب هذه الرواية ان معربها استوفى في تعربها شروط التعريب فجاء تعربه جامعاً لمحاسن الاصل ومعانيه البليغة وافكاره الجميلة . فالقارىء يقرأ فيها افكار ديماس نفسها مسبوكة بقالب جميل كقالبها الاصلي . والذي حملنا على نشر هذه الرواية رغبتنا في ارضاء قراء اميركا على الخصوص لاننا رأينا اكثرهم يفضلون الروايات المفكهة على كل شيء . ولذلك ننشر لهم في كل جزء روايتين . وقلما وجد بين روايات ديماس رواية مفكهة مطربة بما فيها من الحوادث الغرامية الادبية كهذه الرواية

اعلن الخادم قدوم الكونتس كسويل . فصاحت الكونتس ايلينـا ادخلها ادخلها على عجل . فدخلت الكونتس كسويل وهي تقول لقد جئت ايتها الصديقة قبل الجميع لنتحـادث نصف ساعة معاً . فان لديَّ اموراً كثيرة احب اطلاعك عليها . واولها يا ايطاليتي الجميلة هو ان شعرك الاسود وعيناكِ السوداوان لهي بين شعورنا الشقر وعيوننا الزرق اجمل ما في قاعاتنا الآن

فاجابت ايلينا . هذا اذا تركنا جانباً عنقك الابيض الجميل ويديك البيضاوين الناعمتين وقامتك الهيفاء التي هي زينة قاعاتنا الحقيقية . ولقد اصبحت بعد تعارفنا ايتها العزيزة على رأي شاعركم الكبير الذي يقول « ان انكلترا انما هي عش كبير مملوء بالاوز وسط بحيرة جميلة » انني اخاف الليلة على ضيوفي ان يفتنهنَّ جمالك . اجلسي يا عزيزتي ايمي

فقالت ايمي . نعم انني اجلس لانني تعبت تعباً شديداً . فقد كان عليَّ الذهاب الى نيو ماركت لحاجة لي فاضطررت ان انهض اليوم من فراشي عند الساعة العاشرة قبل الظهر . وكلما اهملت صحتي ونهضت في النوم في مثل هذه الساعة فانني ابقى طول النهار ضعيفة متألمة . وانتِ هل خرجتِ من منزلكِ امس . فاجابت ايلينا نعم قد ذهبت الى ملعب درري لن . فقالت ايمي وماذا كانوا يمثلون فقالت هملت و « حلم في احدى ليالي الصيف » فقالت ومن كان يمثل هملت . بُنغ ام سواه . قالت كلاَّ وانما كان يمثله ادمند قان . فقالت ايمي وكيف كان تمثيل قان فقالت ايلينا غاية في العظمة والجمال . وانكِ لتعلمين ايتها العزيزة اننا نحن الايطاليات لا وسط عندنا فاما اننا نغالي في الاستحسان واما اننا نغالي في الاحتقار

فقالت ايمي ضاحكة . اتعدينني بانك لا تضربينني ضرباً شديداً اذا ذكرت لكِ امراً هاماً . فقالت ايلينا تكلمي . فقالت ايمي تهيأي اذاً لتسمعي خبراً لم يُخترع قط خبر اشد غرابة منه . فقالت ايلينا تكلمي . فقالت ايمي ضاحكة بشيء من الدلال ولكني لا اعلم كيف اذكره لك لانه خبر غريب مضحك . فقالت ايلينا بدهشة ما هذا الخبر الغريب تكلمي . فقالت ايمي هل يسمعنا احد . فقالت ايلينا انك تخيفينني بهذا الكلام فما مرادك

فقالت ايمي اسمعي يا صديقتي . ان النـاس اصبحوا يلاحظون انك كثيرة التردد على ملعب درري لن

فضحكت ايلينا ضحكة اغتصابية وقالت . احقيقي ما تقولين ؟ ولكن هذا الامر اذا كان حقيقياً جدير بان يفتخر به قومك لانه دليل على ولع الاجانب بروايات شاعركم شكسبير

فقالت ايمي ولكنهم يقولون انك في ذهابك الى الكنيسة لا تذهبين رغبة في الصلاة بل رغبة في الكاهن

فقالت ايلينا وقد ضغطت على عواطفها لاخفاء ما في نفسها ، من اجل اي ممثل يظنون انني اذهب الى الملعب ، امن اجل بنغ ، قالت كلاً ، قالت امن اجل مكردي ، قالت كلاً ، قالت امن اجل كمبل ، قالت كلاً بل من اجل قان

فهنا عضت ايلينا شفتها بغضب وقالت ، انهم مجانين ومن يقول هذا القول

فاجابت امي ، من ذا الذي يعلم مصدر اقوال كهذا القول ايتها العزيزة ، فانها تنتشر بين الناس كانها خارجة من الارض او هابطة من السماء

فقالت ايلينا بتهكم ، واذا مرت بها صديقة مخلصة التقطتها واذاعتها ، أليس ذلك كذلك ايتها العزيزة ، ولكن اخبريني ماذا يظنون ايظنون انني احب قان

فقالت حباً شديداً

فقالت ايلينا وهم يعنفونني على ذلك

فقالت امي لا يعنفونك فقط بل هم يشفقون عليك ، لان ميلك الى رجل نظير قان . . .

فقطعت ايلينا كلامها وقالت لم اعترف بانني احبه ايتها الكونتس لتقولي هذا القول . ولكني اسألك ما المانع من الميل الى ممثل نابغة كقان

فقالت امي ، اولاً انه ممثل وانتِ تعلمين انه لما كنا لا نقبل هذا الفريق من الناس في قاعاتنا . . . (١)

---

(١) كذا كان مقام اشهر الممثلين في اوروبا . اما اليوم فقد ارتقى مقامهم وسمت منزلتهم فانه لما افتتح الممثل كوكلين منذ بضعة اشهر الملجاء الذي خصه بالعجزة والشيوخ الذين صرفوا حياتهم في التمثيل رضي رئيس الجمهورية المسيو فاليير ان يتولى رئاسة حفلة الافتتاح فذهب بنفسه وافتتح الملجاء واثنى على كوكلين فاجابه كوكلين بقوله ان زيارة الرئيس تمحو عن الممثلين العار الذي الصقه بصناعتهم بعض الناس ظلماً وعدواناً . ولكن لا تزال صناعة التمثيل في اوروبا معدودة عند بعض الطبقات صناعة منحطة فانه لما منح المسيو بريان وزير المعارف الفرنسوية الممثلة المشهورة ساره برنار في هذا العام وسام جوقة الشرف من درجة شفالية رفض مجلس ادارة جوقة الشرف الموافقة على هذا الانعام فكان لذلك جلبة شديدة في الجرائد الفرنسوية . ولا يزال المجلس مصراً على رفضه حتى الآن . وقد ردّ عليه اصدقاء ساره بانه قد وافق على منح وسام الشرف قبل الآن الى الممثلة مدام بارته المشهورة فكان جواب المجلس ان مدام بارته انما اعطيت وسام الشرف كمدرّسة للتمثيل في مدرسة التمثيل حيث تدرّس التمثيل لا كممثلة

فقالت ايلينا مكملة كلام ايمي : يجب ان لا نقبله في دهاليزنا وغرفنا الخصوصية ، ولكن اظنكِ لا تجهلين انني رأيت يوماً مستر كمبل في منزل الدوق اوف يورك

فقالت ايمي ، نعم لا اجهل ذلك

فقالت ايلينا فاذا كان يجوز فتح الابواب في وجه احدهم فما المانع من فتحها في وجه آخر منهم

فقالت ايمي ولكن قان رديء السمعة ملوث الصيت ايتها العزيزة ، فانه بطل من ابطال الفساد والخلاعة ، وهو يتفانى في مناظرة لفلاس في كثرة النساء اللواتي يحبهن ويوقعهن في شراكه ، ولا يحجم عن مناظرة البرنس دي غال في نفقاتة ، وبينما نراه في اوج العظمة مرتدياً بلباس هملت او ريشارد واذا به يخلع هذا الرداء ويرتدي لباس بحري من بحارة الميناء ويتنقل من حانة الى حانة وعلى الغالب يعود الى منزله محمولاً لا ماشياً

فقالت ايلينا اتمي حديثك يا صديقتي

فقالت ايمي وعدا هذا فهو مثقل بالديون ولذلك يتجر بقلوب السيدات الرفيعات تخلصاً من دعاوي دائنيه

فقالت ايلينا ، وهل خطر في بالهم انني احب رجلاً هذه صفاته كما تقولين ايتها العزيزة ، ايصدق ذلك اولئك الناس

فقالت ايمي ، كثيرون لم يصدقوا ذلك ايتها العزيزة وانا في مقدمتهم ، وكذلك اللورد ديلور والسيدة ...

فقطعت ايلينا هنا بخبث كلام ايمي وقالت ، على ذكر اللورد ديلور اسالك شيئاً من اخباره ايتها العزيزة فكيف حاله

فبغتت الكونتس ايمي لما كان شائعاً عن علائقها مع اللورد ديلور وقالت : تساليني انا عن اخباره ، ومن اين لي بها

فقالت ايلينا عفواً يا صديقتي فانني انما استخبر خبره من جميع الناس ، فهو شاب ظريف لطيف انيق الملبس دمث الاخلاق ولا عيب فيه الا انه كثير الكلام لا يكتم سراً

فقالت ايمي مبغوتة ، لا يكتم سراً

فقالت ايلينا ، نعم هو كذلك ولكن من يصدقه ايتها العزيزة ؟ عفواً لقطع حديثك ، بماذا كنا نتحادث

فقالت ايمي وقد ظهر عليها الاضطراب ذهب عني موضوعنا ايتها العزيزة ، ها ، لقد

نسيت ان احدثكِ عن مرقص دوق نورثمبرلند . ثم اخذت تحدثها عن هذا المرقص . ولا ريب ان القارىء قد ادرك الطريقة التي انتقمت بها ايلينا لنفسها

بنت من يهوى

بقلم جناب نقولا افندي الحداد نزيل نيويورك الآن

هي قصيدة غزلية لا ينقص نظمها جمالاً وقوة عن ابلغ الشعر العربي . ولا يتمالك قارئها بعد الاطلاع على لغتها الصحيحة ونظمها المتين ومعانيها الرقيقة ان يقول هكذا يكون الشعر والاَّ فلا . وموضوعها محبٌ يرى بنت من يهوى ووصفها ووصف عواطفهما بدقة شعرية نادرة المثال حتى بين شعراء مصر والشام . وان كان في عواطف المحب الموصوف هنا شيء يسوء في جواب حسناء القصيدة من الاعتصام بالكمال والفضيلة ما يمحو كل سوء

رأى بنتَ من يهوى وقد جدَّ وجدُهُ وقطَّع منه الصد قلباً متيماً
قضى ليله ما شام بارق وجهها فما كان ليلٌ منه ادجى واظلما
ولما رآها استوقفته وقد بدت لاقنومِ من يهوى مثالاً تقنما
رشاً بنت خمس قد تبدَّت لطرفه تلاعب اتراباً لها تشبه الدُمى
فظلَّ لديها حائر اللب هائماً يطيل اليها نظرة وتوسما
واذ همَّ بالتساكِ عنها اجابه فؤاد لديها بات ولهانَ مغرما
أَلستَ ترى فيها ملامح غادةٍ غدوت بها من شدَّةِ الوجدِ مُسقما
فذي العينُ تلك العينُ والثغرُ ثغرها وقد ضارعتها نظرةً وتبسما
وفي ناظريها الشعرُ واللحظُ لفظه وقد كلَّم القلبَ الشجيَّ فكلما
وفي ثغرها بيتُ القصيد وبحره عُذيبٌ يعوم الدرُّ فيه منظما
فذي نسخةٌ من رسم تلك مصغرًا وحسبك هذا الحسن ان تتوسما

***

ولما تلقاها تجافت واجفلت وما ادركت من وجده ما تضرَّما
ولا علمت ما في حشاه من الجوى وانى لها سرُّ الفؤاد لتعلما
فبشَّ اليها ثم اوما تحبباً ورحَّب اغراءً وحيَّا وسلما

ولكنها لم تحبه غير نظرةٍ　　تفهم فيها الف معنىً وترجما
وما هي تعني ما استفاد وانما　　توهم عيني غيرها فتفهما
فلاطفها فاستانست بابتسامه　　ومازحها حتى تميل وتبسما
ترامت عليه والتبذل عندها　　عفافٌ فلا تدري التاويل منهما
فؤادٌ كذاك القلب لكن بلا هوى　　فحلٌ لها دلٌ على تلك حرما
فالوت اليه والدلال يميلها　　فضم ملاكاً طاهراً متجسما
ولاعبها مستنشقاً هدب ثوبها　　وضاحكها حتى ملا ضحكها الفما

***

رآني يا امي فتىً قد عرفته　　ويا ام ما احلى الفتى ما ارقما
وقصت عليها بنتها كلما جرى　　حديث صغيرٍ يخبر الامر مثلما
فقالت ومعنى قولها في ابتسامها　　وقد عرفت ذاك المحب المتيما
يمثل دوراً يبتغيه حقيقة　　وهيهات ما يبغيه قد عزَّ مغنما

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

ثلاثة رسوم

يمين قاعة لعب الكرة * الفتى يسوع بين الكتبة
والفريسيين في صغره * احراق الاحياء والاموات

مجلس الدوما الفرنسوي والدوما الروسي وقع لاول مجلس دستوري اجتمع في فرنسا ما وقع لمجلس الدوما الروسي في هذا العام . ولكن المجلس الفرنسوي تغلب على الهيئة الحاكمة لان شعب باريز ثار يشدّ ازره وعجزت الحكومة عن كبح جماحه . ولذلك قال الناس حين حُلَّ البرلمان الروسي ان مصير امره متوقف على الشعب الروسي . وقد ظهر بعد ذلك ان الشعب الروسي اضعف من حكومته

وبيان خبر « الدوما الفرنسوية » ان الملك لويس السادس عشر جمع نواب الولايات



يمين ملعب الكره

اول مجلس دستوري فرنسوي اراد الملك لويس السادس عشر حله بعد ثلاثة ايام من اجتماعه فاجتمعوا واقسموا يميناً انهم لا يتفرقون حتى يضعوا الدستور

لاصلاح الميزانية وضرب ضرائب جديدة وسن دستور للامة (١) فاجتمع النواب في ١٧ يونيو من عام ١٧٨٩. ولكن لم تمر ثلاثة ايام على اجتماعهم حتى اقنع الامراء والنبلاء والاساقفة الملك لويس السادس عشر بمنع اجتماعهم لاسباب يطول شرحها . فاعلن المسيو دروبروزه من حاشية الملك انه تقرر اقفال القاعة التي يجتمع فيها المجلس لرغبتهم في اعدادها لحفلة ملكية . فلما قدم اعضاء المجلس وجدوها مقفلة فذهب بهم رئيسهم العالم بالبي الى قاعة اخرى في شارع آخر لعقد جلستهم فيها فوجدوا عليها الحراس يحرسونها . فاقترح عليهم حينئذٍ الدكتور كليوتين «صاحب الكليوتين آلة الاعدام المشهورة» بان يعقدوا جلستهم في قاعة واسعة للعب الكرة كانت في شارع اوتل دي لورج . فهرع الرئيس والاعضاء الى هذه القاعة وعقدوا فيها جلستهم . واول عمل عملوه انهم اقسموا جميعاً الاّ واحداً منهم يميناً انهم لا يتفرقون حتى يضعوا دستوراً للامة الفرنسوية مهما اصابهم من اضطهاد الملك وحاشيته . والرسم المنشور هنا يمثلهم مجتمعين حول رئيسهم العالم بالبي وايديهم ممتدة بقسمون اليمين .

(١) هذا احد وجوه الشبه بين الدوما الفرنسوية والدوما الروسية

ولما جاءهم درو بروزه يطلب منهم باسم الملك والقانون ان يتفرقوا اجابه الخطيب ميرابو بجوابه المشهور « اذهب وقل لمولاك اننا اجتمعنا في هذا المكان بارادة الشعب ولا نخرج منه الا والحراب في صدورنا » (١) ـ وهذا هو بدء الدستور الفرنسوي. ولذلك يعتبرون تلك القاعة التي كانت للعب الكره مهداً له وهي اليوم في باريز مزار للناس

والرسم المنشور هنا رسمه الرسام الطائر الصيت لويس دافيد ولوك اوليفيه مرسون . وهو موجود اليوم في متحف اللوفر في باريز وفي القاعة المذكورة آنفاً نسخة منه. وفي صدره الى يمين الرئيس الواقف في الوسط كاهنان وراعٍ بروتستنتي من الاعضاء اشارة الى اتفاق الشعب من جميع الطبقات والمذاهب يومئذ على الرغبة في الاصلاح والدستور . والى يسار بالي الرئيس رجل كبير الهامة رافع يده وهو الخطيب ميرابو المشهور . والناظر الى هذا الرسم يرى امامه مشاهير الرجال الذين كانوا مبداء الثورة الفرنسوية

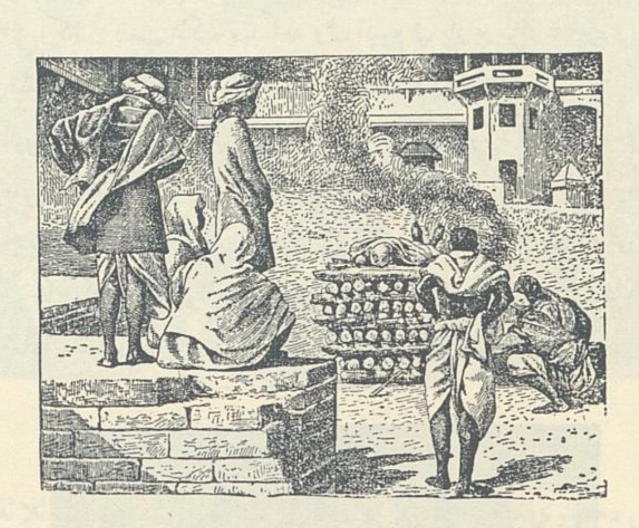


الفتى يسوع بين الكتبة والفريسيين
يباحثهم ويناظرهم في الكتب

※ الفتى يسوع بين الكتبة والفريسيين ※ يمثل الرسم الثاني الذي نشرناه في هذا الفصل يسوع في الثانية عشرة من عمره جالساً في المعبد بين الكتبة والفريسيين اليهود يباحثهم

(١) وفي رواية اخرى « الا بقوة الحراب » والرواية الاخرى اصح. ولما حُلت الدوما الروسية وطلب من الاعضاء الخروج من القاعة اجاب احدهم مثل جواب ميرابو هذا . وهو شبه آخر بين المجلسين

ويناظرهم · وهو رسم الرسام فليكس بارياس وقد اجاد في رسمه كل الاجادة في وصف الحماسة الجدلية واللطف الصبياني مقرونين بالقوة الناشئة عن رسوخ في الاعتقاد



احراق الموتى في الهند

الميت ممدود فوق الحطب ورجلان يضرمان النار فيه والدخان بدأ يرتفع منه

﴿احراق الاحياء والاموات﴾ كان فريق من سكان الهند يحرقون الاحياء مع موتاهم · فاذا توفي رجل عن امرأة قضي على زوجته بان تُحرق معه اكراماً له ورغبة في ان لا تبقى بعده · والارجح ان عادة احراق الموتى مأخوذة عن قدماء اليونان في جاهليتهم. وقد وصف هوميروس احراق جثة باتروكلوس القائد الشجاع فذكر انهم احرقوا معه بعض اسرى الحرب اكراماً له · واذا كان التمدن الحديث قد ابطل في الهند وغير الهند احراق الاحياء فقد قام في اوروبا جمعيات وعلماء يقولون ان عادة احراق الموتى لهي خير من عادة دفنهم · وقد اذنت لهم الحكومات الاوروبية بانشاء افران خصوصية رسمية لحرق الجثث التي يوصي اصحابها برغبتهم في احراق جثثهم بعد موتهم · اما فائدة هذا الاحراق عندهم فهي حفظ صحة الاحياء لان كثيراً من مكروبات الامراض والاوبئة تعيش في المدافن زمناً طويلاً ثم تنتشر منها بين الاحياء هذا فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة من القبور وافسادها الهواء · والاعتراض الذي يُعترض به على هذه العادة التي من حقها ان تجرح

العواطف الشرقية ان احراق الجثث يحول دون فحصها وتشريحها في المسائل الجنائية اذا ظهرت ضرورة لذلك بعد الموت والاحراق. هذا غير الاعتراض من الجهة الدينية الذي يعترض به اصحاب المذاهب الدينية. فانه لما طلب بعضهم في مصر الاذن بانشاء فرن لحرق جثث الموتى فيها اذنت الحكومة المصرية بذلك واصدرت به امراً رسمياً ولكنها اشترطت في هذا الامر ان لا يُقبل للاحراق في هذا الفرن جثة لمسلم. واول جثة احرقت في اوروبا كان احراقها في فرن في ميلان في ٢٢ يناير سنة ١٨٧٦. وهذه العادة آخذة اليوم في الشيوع والانتشار وبعضهم يزعم انها ستكون شريعة للموتى في المستقبل. وكثيرون من خاصة العلماء يفضلون ان تحرق جثثهم بعد موتهم على دفنها

باب التقريظ والانتقاد

﴿ حواء الجديدة ﴾ أشرنا في الجزء الخامس الى هذه الرواية الجميلة التي وضعها جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني ومؤلف الكتب والروايات الاجتماعية المفيدة المنشور اعلانها في صفحة الاعلانات في هذا الجزء. وقد وصل حضرته الى نيويورك في منتصف الشهر الجاري فلقي من افاضل المهاجرين وادبائهم ما يستحقه فضله وادبه من الحفاوة والاكرام. وقد كتب الينا احد اصدقاء الجامعة الخصوصيين جناب شبل افندي دموس وهو كاتب فاضل من عقلاء السوريين في الداخلية يقول ضمن كتاب خصوصي « ان قدوم نقولا افندي حداد يجعل نصيب المهاجرين من رجال العلم والادب وافراً. وربما كانت نهضة المشارقة في الغرب اعظم منها في بلادهم في زمن قريب. واني بعد انتقال الجامعة الى نيويورك وقدوم حداد افندي اليها لاكثر رغبة في الاقامة فيها مني من قبل. اذ لي شغف باهل العلم دونه شغفي بالحسان في زمن الصبى »

قلنا والفضل يعرفه اهله وذووه. والذي يرتاح الى مصاحبة اهل العلم والادب وتنشيطها والاعتراف بمزاياها مع كساد بضاعتها عندنا بالقياس على رواجها عند الامم الراقية انما يدل على فضله وجودة طبعه وكرم اخلاقه. والعكس بالعكس

وآخر روايات حداد افندي رواية (حواء الجديدة) التي اشرنا اليها . وليس غرضنا في هذه الفقرة ان نبدي رأينا في هذه الرواية ولكن غرضنا ان ندلّ على منزلة مؤلفها من فنه عند افاضل كتاب مصر نفسها . واليك شيئاً مما كتبه اليه ثلاثة من الكتاب المشهورين في مصر بشأن روايته وقد جُعلت هذه الكتب الثلاثة ذيلاً للرواية

قال صاحب مجلة المنار الاسلامية في مقدمة كتابه وهو في اكثر من ثلاث صفحات « رغبت اليّ ان اقرأ قصتك الجديدة (حواء الجديدة) واكتب اليك برأيي فيها واثرها فيّ بعد القراءة . اراك احسنت في التصوير والتخييل واعتصمت بجبوة النزاهة والادب في التعبير واراني استعبرت لغير ما عبارة في القصة . اما الموضوع الاجتماعي الذي نفخت فيها من روحه فليس طريفاً عندي . قرأت وسمعت فيه شيئاً عن الافرنج وفكرت فيه كثيراً ولعل ما قرأته لك فيه خير من قليل ما عملته عنهم »

وكتب حضرة الدكتور شبل افندي شميل المشهور كتاباً في اربع صفحات قال فيه « لم تقع (حواؤك الجديدة) تحت نظري حتى استغوتني كما استغوت حواء آدم من قبل فقمت اطالعها ولا الوي على شيء حتى استنفدت في قراءتها بعض ليلة ويوم . وقد اعجبني جداً منهاجكم فيها اذ جعلتموها في اسلوب رواية اجتماعية حسنة السبك مؤثرة منبهة تشوق القارىء الى مطالعتها وتؤثر في عواطفه وقائعها وتستفز حميته مظالمها حتى اذا انتقل من ذلك الى اعمال الفكرة في نظام الاجتماع لم يقف عند هذا الحد من الحيف بل بدت له معايبه الكثيرة في شرائعه وعاداته واحكامه التي لم يُنظر فيها الا الى تأييد جانب القوة وهضم حقوق الضعيف في كل اموره حتى جاء نظامه المصطنع مخالفاً لمبداء نظامه الطبيعي »

وكتب صاحب مجلة الهلال كتاباً في اربع صفحات منه « فلما جاءتني روايتك لم ارَ بدّاً من قراءتها قياماً بالواجب فبدأت بتصفحها وانا اصبر نفسي على ذلك لاني اكثر رغبة في مطالعة كتب التاريخ والعلم مني في مطالعة كتب الفكاهة . ولكنني ما كدت اتصفح بعضها حتى خيل لي اني اطالع كتاباً فلسفياً علمياً اخلاقياً . فبعد ان كنت اصبر نفسي على المطالعة اصبحت لا اصبر عنها واستغرقت في الموضوع ولذّ لي اعمال الفكرة فيه فاعجبني ما تضمنه الكتاب من الادلة على فساد الرجل والحاقه عار فساده بالمرأة . فهو يأكل الحصرم وهي تضرس . فتمثلت لي فظاعة ذلك الامر تمثيلاً واضحاً . ولم اعجب من اجادتك في وصف العواطف وتشريح الاخلاق فقد عهدتك من نوابغ هذا العصر في هذا الشأن ومؤلفاتك شاهدة على ذلك . وانما اعجبت ببراعتك في اسلوب تعبيرك عن حال ايفون

(في صفحتي ٤١ و ٦٤) وغيرها وانتقادك العادات الشائعة في الزواج وتربية البنات بين اظهرنا وتبيانك ما يقع على المرأة من الظلم في احكام الناس وما تقاسيه في سبيل المحافظة على شرفها وانها تشترك في الذنب مع الرجل وتتحمل العقاب وحدها. سبكتَ ذلك في سياق رواية غرامية ضمنها من القواعد الاجتماعية والمبادىء الادبية الاحساسية ما يجدر ان يكون مثالاً يُنسج على منواله لا سيما في حالتنا الحاضرة وهيئتنا الاجتماعية في اوائل انتقالها الى نظام التمدن الحديث ولا يزال معظمها فوضى» الى ان قال « وبين ظهرانينا عشرات من العادات الاصيلة والدخيلة تفتقر الى اصلاح واصلاحها ميسور وقريب وانما نحتاج الى من ينبه اليها تنبيهاً مؤثراً وليس افضل من الروايات للوصول الى هذه الغاية اما على المراسح او في الكتب لعكوف الناس على مطالعة الروايات كباراً وصغاراً — فاقترح عليك باسم آداب هذه اللغة ان تؤلف الروايات في تقبيح الرذائل الشائعة كالكذب مثلاً ولا سيما المستتر منه وراء المجاملة مع الحث على اتباع الصدق ونحوه من الفضائل . الّف في بيان فظائع المقامرة والمسكر والبورصة وغيرها من الرذائل والمنكرات التي نئن تحت اعبائها — على ان الروايات على نحو ما بسطته لي « حواء الجديدة » كبيرة الاهمية وتفتقر الى قريحة وقادة وعلم واسع الخ . . . .

ويلي هذه الكتب كتاب من جناب المحامي الفاضل ابرهيم افندي جمال وقد كان كتابه اشد الكتب على ايفون مونار التي عليها مدار الرواية . وقد اثنت صحف مصر والشام في الشهر الماضي على الرواية ومؤلفها ثناء يجزيه عن تعبه في وضعها

هذه منزلة الكاتب الجديد الذي انضم الى جمهور المهاجرين هنا في صناعة الادب. والجامعة تعيد هنا ما نشرته في الجزء السابق من سرورها وسرور افاضل الناس هنا بانتقال كاتب حقيقي وشاعر حقيقي من كتاب مصر والشام المعدودين المفيدين الى دار هجرتهم لاننا بحاجة هنا الى رجال جد وعمل يكونون دماً قوياً جديداً في جسم الهيئة الشرقية المهاجرة

﴿ الزهرة ﴾ هي مجلة عمومية ادبية ظهرت في كليفلند من اعمال الولايات المتحدة لمنشئيها حضرات اسعد افندي خوري وسليم افندي عازار . فالجامعة ترحب بهذه الرصيفة الجديدة وترجو لها كل نجاح

﴿ جمعية الاتحاد في سانتو ادواردو ﴾ وردنا البيان السنوي لجمعية الاتحاد السوري في سانتو ادواردو في البرازيل وقد انشأها بضعة من ادباء السوريين هناك لغرض حميد وهو مساعدة المرضى والضعفاء مما يوجب لحضراتهم الثناء

كتاب جديد

كلمة شاعر في وصف خطب نادر

هو كتاب شعري عني بوضعه جناب الناظم الناثر البليغ امين افندي ضاهر خيرالله. وموضوعه نظم حادث الزلزال في سان فرنسيسكو متحدياً في نظمه ايلياذة هوميروس المشهورة اليونانية والعربية . وقد صدر عن نيويورك في آخر هذا الشهر

والعادة ان المجلات والجرائد تقرظ الكتب التي تهدى اليها بقول يجعلها كلها متشابهة متقاربة . وذلك اما لان تلك الكتب لا تستحق العناية بها فيرضي الكاتب صاحبها بشيء من التقريظ المبهم . واما لكسلنا نحن معاشر المقرظين للكتب فلا ننظر فيها . على انه من الظلم لهذا الكتاب الشعري الذي تعب امين افندي في نظمه تعباً ما وراءه تعب ان يُفعل به ما يُفعل بالكتب التي اشرنا اليها . فان الناظم تناول حادث الزلزال من اوله الى آخره واطلق العنان لقريحته في مضماره فلم يترك بحثاً في الموضوع الاّ طرقه من الجهة الادبية والعلمية والوصف الاخباري والعلمي فجاءت قصيدته تاريخاً للحادثة . وقد قسم القصيدة الى فصول كل فصل منها اربعة ابيات ومجموع فصولها ٢١٠ فيكون مجموع ابياتها ٨٤٠ بيتاً . والفصول المذكورة مشروحة ومفسرة تفسيراً مفيداً . واحسن ما اعجبنا فيها جمعه آراء العلماء في اسباب الزلزال المذكور ولعل هذا بيت القصيد . واذا كان شعر هذه القصيدة المفيدة يحتاج الى سمو الخيال الذي هو القوة الحقيقية للشاعر وبدونه لا يكون الشعر شعراً فان القارىء يعتاض في الكتاب عن هذا الامر بما اجاد فيه مؤلفه من نظم الحادثة بدقائقها الكلية والجزئية مقرونة بفوائد ادبية وعلمية ولغوية . ولو كان شعراء مصر المجيدون يجعلون دواوينهم ومنظوماتهم على هذا المنوال لكانت آثارهم الادبية اكثر رواجاً واجلّ فائدة

فنحث قراء الجامعة على اقتناء هذا الكتاب لفائدته وجزاء صاحبه عن تعبه فيه . وهو يطلب من مؤلفه في نيويورك او من ادارة الجامعة . وفي مصر يطلب من مكتبة امين افندي هندبه بالموسكي وثمنه نصف ريال

فلما رأت مريم يوليوس يسترسل في تسكين بالها والاعتذار اليها ابتسمت واجابت انك تظن انني ابكي يا يوليوس والحقيقة انني لا ابكي . ثم ضحكت ونادت باعلى صوتها : حنه حنه . وقالت له الا تريد توديع حنه قبل سفرك

فدخلت حنه وحيت يوليوس فاخبرتها مريم خبر سفره . وبعد برهة كان يوليوس على جواده عائداً الى اورشليم من حيث أتى

وفي عودته من البيت الاسود مرَّ بين الصبية الذين كانوا يلعبون على الطريق في سفح الاكمة فافسح له الصبية الطريق بخوف ورهبة خشية ان يكون احد الشياطين السبعة قد علق به في ذلك البيت . وكانت مريم قد خرجت من غرفتها الى الكرم طلباً للهواء النقي لانها شعرت بثقل الهواء في غرفتها وضيق صدرها بعد حديثها مع يوليوس وسفره . فتبعتها حنه وشيشرون ليشاهدا جواد يوليوس يعدو . وكأن مريم شعرت بخطاءها في خروجها في ذلك الحين من البيت لازدياد المها فنكصت راجعة الى غرفتها . ولكنها لم تخطُ خطوتين حتى انطرحت على الارض مغمى عليها وهي تصرخ صراخاً شديداً واعضاؤها تتشنج تشنجاً مخيفاً

فهرعت اليها حنه مع شيشرون وهو يتوكأ على عصاه . ولم يفت هذا المشهد الصبية الذين كانوا يلعبون على الطريق . فلما شاهدوا مريم تنطرح على الارض وتصرخ متشنجة ذلك التشنج هلعت قلوبهم واصفرَّت وجوههم واخذوا يعدون نحو القرية . ولما بلغوها اخذوا يقصون على اهلهم ما راوه بجانب البيت الاسود وهم يلهثون من التعب والذعر . فقال احدهم انه رأى ثلاثة شياطين ترقص فوق جثة المرأة وتضحك لصراخها . وقال آخر انه راى شيطاناً راسه في السحاب وقدماه على التراب بجانبها وهو يدوس بهما حيناً بعد حين على بطنها . وكان اليوم يوم سبت فاجتمع اهل القرية في معبدهم يقرأون الزبور والتوراة طلباً لله ان يبعد عن قريتهم هذه المرأة وشياطينها

الفصل الثالث

﴿ سنيكا الاديب وسنيكا الفيلسوف ﴾

ولما انصرف المجدليون من معبدهم قصدوا الخلاء خارج القرية وهم ينظرون شزراً الى البيت الاسود الذي كان قائماً على الاكمة امامهم . وكان الرجال والنساء يسيرون متلفتين

بخوف واضطراب نحو البيت ويتطاولون لرؤية ما فيه من بعيد اما الاولاد فكانوا يركضون لاعبين امامهم غير مبالين بشيء لان حوادث الدهر مهما جلت وعظمت لا تقيم في اذهانهم الصغيرة الخالية الا مدة قصيرة . فلما صار الجميع خارج القرية يتنعمون بنور الشمس والهواء النقي مروا ببغلين يرعيان العشب وبجانبهما مكاريان يتناولان طعاماً على عباءة فرشاها امامهما على العشب. وكان المكاريان صاحبينا يوسف وبولس. فاستوقفا احد الاولاد وهما ياكلان وسألاه عن سبب الاجتماع . واذ علما به ضحك يوسف وارتعدت فرائص بولس . فقال ليوسف انك تغيظني بضحكك يا يوسف وانني اقسم بالزبور والتوراة ان هذه آخر سفرة لي الى هذه القرية الملعونة «المسكونة» (١) فازداد يوسف ضحكاً وقال ما قولك يا بولس اذا جاءك الآن احد يطلب منك اركابه بغلك الى هذا البيت اترد طلبه وتخسر الاجرة

فوثب بولس هنا عن الارض كما بدفع دافع وصاح بغضب. استعيذ بسيدنا داود وسيدنا سليمان من مزاحك البارد. وهل تظنني فقدت عقلي حتى القي بنفسي وبغلتي بين الشياطين. وماذا تفيدني الاجرة القليلة التي اقبضها لنقل رجل الى هذا البيت الملعون اذا علق بي او ببغلتي او بنا كلينا احد الشياطين السبعة الساكنين في الساكنة في هذا البيت . فان هذه الشياطين الملعونة تكره الاقامة في جوف امرأة قذرة فضلاً عن انها اعتادت التنقل ولا يمكنها الثبات في مقام. وكانك لا تعرف ايها المسكين ماذا يصيب الشخص الذي يسكنه شيطان فانا اخبرك خبره فقد سمعته من رفيقي المكاري اندراوس في جنيساره . فان المسكون يشعر اولاً ان شيئاً كقضيب من حديد محمي أُدخل في جوفه من عجزه الى قمة راسه فيغيب عن الوجود ويغمى عليه لان الشيطان يقبض روحه بيده ويطير بها في اعالي الجو لتعذيبها هناك ويترك الجسم على الارض. ولذلك يأخذ هذا الجسم في الاختباط والتشنج والاضطراب لشوقه الى روحه ورغبته في استردادها. ولما يصير الشيطان مع الروح في الجو يأخذ الشيطان في تعذيبها وهو ضاحك مشروح الصدر . فتارة يضغط عليها بقبضتيه فيخنقها ثم ينفخ فيها فيعيد الحياة اليها . فتعذب الروح بذلك عذابين عذاب الموت وعذاب الولادة ثانية اي العود الى الحياة. وطوراً يأخذها من فوق السحاب ويقذف بها الى الارض بقوته الجهنمية فتصير قطعاً قطعاً . فيهبط اليها بجناحيه الهائلين كانه تنين هائل هابط من السحاب فيجمع قطعها بذنبه الطويل المخيف ثم يمسها مساً باصبعه فتعود كما كانت. وآونة يربطها بطرف ذنبه

(١) اي المسكونة من الشياطين وهو تعبير كان عامياً في ذلك الزمن ولا يزال كذلك اليوم في فلسطين والشام

ثم يديرها به في الهواء كما يُدار المقلاع للرمي به وحين يبلغ دورانها اشدّه يرمي بها الى بعيد كما يرمى السهم فربما وقعت في اورشليم مثلاً اذا رميت من هنا . وبعد ذلك يكفي ان يمدّ اليها من اعالي الجوّ راس ذنبه ويحركه بعض الشيء ضاحكاً صافراً بفمه الهائل فترى تلك الروح المسكينة قد انجذبت اليه من تلقاء نفسها . واحياناً ينفخ عليها بنفسه الناري فيذيبها شيئاً فشيئاً كما يذوب الثلج بحرّ الشمس ثم يأخذ ذائبها ويبدّل نَفَسه الناري بنفَس ثلجي وينفخ عليها فتعود كما كانت . فهل انت مجنون يا يوسف لتعتقد انني القي بنفسي وببغلي المسكين في هذه التهلكة الهائلة

ولم يكد بولس يتم كلامه حتى سُمعت قهقهة من وراء فالتفت المكاريان فابصرا تحت شجرة على مسافة مائة متر منهما رجلين جالسين في ظل الشجرة وامامهما رجل ثالث واقف يحادثهما ويضحك . ثم نهض الرجلان وسارا يقصدان المكاريين يوسف وبولس . والرجل الثالث يتبعهما

وكان احد الرجلين شيخاً طاعناً في السن يقارب سنه الثمانين . والثاني شاباً يقارب سنه العشرين (١) وكانت ملامح وجهيهما متشابهة فالذي يراهما لا يشكّ في ان بينهما نسباً . فقد كانا طويلي القامة عظيمي الهامة شعرهما مسترسل على رقبتيهما ووجههما ضخم مستدير تلوح عليه لوائح الهيبة والسكون كانهما ممن اعتادوا التامل والروية . ولاكبرهما سناً لحية بيضاء تطوّق وجهه . ولكليهما جبين متسع تحتهما عينان قويتان هادئتان تدلاّن على نفس جمعت بين نقيضين : قوة الحركة والسكون (٢)

ولما بلغ الرجلان الى المكاريين انبرى الشاب وقال باللغة اللاتينية . اتؤجراننا بغليكما الى مسافة قريبة . ولما لم يفهم المكاريان كلامه انبرى الرجل الثالث الذي كان يتبعهما وقال لهما ذلك القول باللغة العبرانية السريانية لغة اهل فلسطين في تلك الايام . وكان هذا الرجل ترجماناً اسرائيلياً قدم مع الرجلين في سياحتهما

فنهض المكاريان مسرورين لاعداد بغليهما . ولكن بولس سال الترجمان الى اين

(١) ولد سنيكا الاب في سنة ٦١ قبل الميلاد وتوفي في سنه ٣٠ بعده . وهو تقريباً الزمن الذي شرع فيه يسوع يعلم . وولد سنيكا الابن في سنة ٢ بعد الميلاد وتوفي في سنة ٦٦ بعده وابتداءُ حوادث هذه الرواية حين كان سن يسوع ٢٠ سنة

(٢) صفات سنيكا الاديب « الاب » وسنيكا الفيلسوف « الابن » هنا ماخوذة من تمثال برونزي لسنيكا في متحف نابولي ورسم للرسام المشهور روبان

يقصد سيداك الخنزيران . فعبس الترجمان وقال اسكت يا ملعون لانني اخاف ان يفهما كلامك . ثم اجابه انهما يقصدان الاكمة القريبة التي عليها ذلك البيت الاحمر .

فلما سمع المكاريان هذا الكلام عبس بولس وانتفض من الغضب وضحك يوسف حتى قهقه . وقد ابى بولس اباء شديداً اركاب بغله الى تلك الاكمة . وبعد جدال شديد بينه وبين رفيقه يوسف اتفقا على ان يُركباها الى سفح الاكمة وهناك يقبضان اجرتهما وينصرفان . ولما علم الشيخ والشاب بهذا الشرط ضحكا لانهما كانا قد سمعا وهما تحت الشجرة حديث المكاريين . وقال الشيخ للشاب : لولا سني وضعفي لما كلفت هذا المسكين عناء نقلي الى مكان يحاذر الدنو منه . فانني اشفق ان تطير نفسه الساذجة شعاعاً لوهم يتوهمه هناك .

فاجاب الشاب . علينا يا ابتاه نحن معاشر الرومان اسياد هذه البلاد ان نكون اوصياء على اهلها . فاوهامهم وخرافاتهم التي لا تزول باللين واللطف يجب علينا ازالتها بالقوة والعنف

فركب الشيخ والشاب وسار المكاريان والترجمان وراء البغلين . وبعد برهة قال الشيخ . ان ما قلته الآن يا لوسيوس مخالف لمبدانا في سياسة الامم على خط مستقيم . فنحن لا نطلب امراً من الامم التي نملك بلادها غير الطاعة والجزية وتركها موالاة اعدائنا . اما اوهامها وخرافاتها واديانها ومبادئها فلا نتعرض لها (١) وفعلنا هذا حسن يا بني لعدة اسباب منها اننا اذا اردنا استئصال الاوهام والخرافات وجب علينا ان نبدأ بالتي عندنا في بلادنا بين قومنا

وكان بولس يسير وراء بغله خائفاً ونظره يتجه حيناً بعد حين نحو البيت الاحمر على الاكمة . اما يوسف فكان يسأل الترجمان عن الرجلين . فاخبره الترجمان ان الوالي الروماني في اورشليم لما علم بقدومهما الى هذه البلاد خف لاستقبالهما اعظم استقبال لانهما من عظماء رومه . وقد سار بنفسه يريهما آثار المدينة وشوارعها . وفي ذات يوم اخبراه عن رغبتهما في السياحة في داخل البلاد فحذّرهما من هذا الامر بحجة ان المتحمسين منا كثيرون فيخشى ان يصيبوهما باذى خاصة في هذا الوقت الذي اشتد فيه الاضطراب وطمحت انظار شعبنا الى رجل يقوم لطرد الرومانيين من بلادنا واعادة سيادتنا على العالم . ولكن لما رأى اصرارهما على مشاهدة البلاد والعباد في هذه الارض التي يزورانها مبتسمين مزدريين بها دعاني اليه لما يعرفه من قدرتي على حمايتهما لدى قومنا وعهد اليّ السفر معهما . ثم قال لي « لم ارسل معكم جنداً لحراستكم لاننا لا نتخذ جنداً من هذه الامة . والجنود الرومانية اذا

(١) رنان « تاريخ المسيح وتاريخ بني اسرائيل » مونتسكيو « اسباب عظمة الرومان »

ظهرت ملابسها واسلحتها في داخل البلاد كان ظهورها سبباً في الهياج عليكم بدل حمايتكم »

ففتل هنا بولس شاربيه ورفع راسه وقال معتزّاً أرايتم كيف يخاف هؤلاء الخنازير منا . آه لو كان سيدنا داود او سيدنا سليمان عائشاً في هذا الزمن فانه كان اغرقهم جميعاً في بحر طبريا وفتح بلادهم حتى رومه

فضحك يوسف وقال اذا كان جنده شجعاناً مثلك يخافون حتى من الدنو من هذه الاكمة فانه لا يقدر ان يفتح حتى باب قصره

فسخط بولس وقال أ بلغت بك القحة وحب المزاح ان تهزأ حتى بسيدنا داود حقاً يا يوسف انك اصبحت ثقيلاً

فقال يوسف بجد كلا لا امزح ايها الابله وانما اقول الحق . أ تظن شعبنا مع ما طرأ عليه من الذل والضعف والتشتيت مراراً واهمال الرؤساء تربيته الاجتماعية العسكرية الاولى وفقده الحماسة والجامعة القديمة — اتظنه الان مع ما تقدم قادراً على الثبات امام جبابرة الرومان وجندهم الكثيف وقوادهم الابطال

فتحمّس بولس وقال . انك مخطئ في قولك اننا فقدنا حماستنا . أما سمعت بمتياس الذي قتل في ذلك اليوم رجلاً في طبريا كان يعترض على شريعتنا . فاية حماسة اشد من بذل انسان نفسه في سبيل الدفاع عن شريعته (١) واية جامعة افضل من هذه الجامعة . ثم ايها المسكين أتنسى « جشوان . مشيا » (٢) الذي ننتظره لانقاذنا واعادة مملكتنا . فهل تزعم ايضاً انه اذا جاء الان ملكنا جشوان يعجز عن قهر خنازير الرومان وطردها عنا

فهمّ يوسف بالجواب ولكن الشاب لوسيوس نادى في هذا الحين الترجمان والمكاريين فدنوا منه فقال الشيخ للترجمان ان لوسيوس راى خوف هذا المكاري « واشار الى بولس » من الدنو من الاكمة والبيت الاحمر الذي عليها لاعتقاده ان الشياطين تسكنه وتسكن المراة المسكينة المقيمة فيه . وبناء على ذلك يرغب في ان تكون ترجماناً بينه وبين هذا المكاري ليحدثه حديثاً ينفعه . فترجم بينهما

فقال الشاب لوسيوس ما اسم هذا المكاري فاجاب الترجمان اسمه بولس . فقال لوسيوس . بولس بولس . انني اجد هذا الاسم جميلاً . وقد حلمت امي يوماً بان الناس

(١) كانوا يسمون هؤلاء القتلة « غنايم » او « القتلة الدينيين »

(٢) معنى جشوان بالعبرانية « جيوفاه المخلص » وجيوفاه الله . ومشيا المسيح . وكلا الاسمين يطلق على المنتظَر عند اليهود وكانوا كثيري اللهج به في تلك الايام

سيكذبون عليّ في آخر حياتي و يصنفون عن لساني رسائل الى شخص يدعى بولس (١) وقد خافت ان يكون ذلك لدسيسة سياسية . فسل بولس عن لساني من اين علم ان المرأة التي رآها صبية القرية تخبط وتتشنج على الارض امام بيتها يسكنها سبعة شياطين . فاجاب بولس علمت ذلك من رفيقي يوسف ومن احد اولاد القرية . فقال لوسيوس انك علمت منهما انها تخبط وتتشنج في حال غيبوبتها . وهي مشاهدة حقيقية . ولكن الا يمكن ان يكون لذلك علة غير الشياطين . ففتح بولس فاه كمستغرب وقال وما عسى ان يكون سبب ذلك غير الشياطين . وكيف تذهب روحها منها وتغيب عن الوجود اذا لم يخطف الشيطان روحها ساعة او نصف ساعة . فاجاب يوليوس انني الآن اذا نزلتُ عن بغلي والتقتُّ هذا الحجر الذي هناك وضربتك به على رأسك ضربة شديدة فانك يغمى عليك وتغيب عن الوجود فهل ذلك دليل على انه دخلك شيطان ام يكون سبب غيبوبتك ضربك بالحجر على رأسك . فسكت بولس ولم يجب . فقال لوسيوس وهل تظن ان الشياطين موجودة في هذه البلاد دون غيرها ام توجد في غيرها . فاجاب بولس لا اعلم . فقال لوسيوس انني اعرف رجلاً يونانياً (٢) رأى في بلاده كثيرين من الرجال والنساء الذين يُصرعون وتقولون عنهم ان الشياطين تسكنهم . وقد كتب في هذا الموضوع كتاباً تقدَّم به آراء العلماء في المستقبل وساترجم لك شيئاً منه اذا اردت عند عودتنا من الاكمة لانه بين امتعتي في مجدل . وهو يقول ان ذلك الصرع « او الشياطين كما تقولون » علة تصيب الجسم وداء ناشئ عن هياج الدم والاعصاب . وهو يسميه « العلة المقدَّسة » لانه كثيراً ما يصيب المجانين ولبعض الناس راي في تقديس المجانين . فهذه المرأة المسكينة التي اخذتنا الشفقة عليها بعد ما سمعناه من حديثك مع رفيقك وما استفاده ترجماننا من اولاد القرية وما بلغنا عنها في غير هذا المكان — انما هي مصابة بداء بشري ومرض اصبح اليوم سببه معروفاً . ولا دخل للشياطين فيه

فبهت هنا بولس وصار ينظر الى يوسف و يوسف ينظر اليه مدهوشاً ايضاً . فاستأنف

---

(١) اشارة الى ثلاث عشرة رسالة يزعم بعضهم ان سنيكا فيلسوف الرومان العظيم « وهو هنا الابن » كتبها من رومه الى الرسول بولس ولكن المحققين يرجحون انها رسائل مختلقة . على ان اختلاقها قديم جداً لان القديسين اوغوسطينوس وجيروم يشيران اليها في كتاباتهما

(٢) هو ابوقراط المشهور ولد سنة ٤٦٠ قبل الميلاد

لوسيوس كلامه قائلاً · وستراننا الآن بعد وصولنا الى البيت نمسك يد تلك المرأة المسكينة ونرش وجهها وصدرها بالماء ونقيم في البيت ما اردنا دون ان نخاف شرًّا ولا ضرًّا · فهل فهمت الآن سبب علة هذه المرأة

فهزّ بولس راسه وقال · كان شرطنا ان نُركبكم الى سفح القرية · فادخلوا انتم البيت وجسوا يد صاحبته وآخوا شياطينها اذا شئتم · اما انا وبغلي فلا نخطو نحو البيت خطوة واحدة

فقال الشيخ الاب : هل رأيت يا لوسيوس مبلغ تاثير درسك في نفسه · فانك شرحت له سبب هذه العلة شرحًا جليًا فلم يصدقك ولا بالى بكلامك وربما استصغر عقلك واستقلّ فهمك · فيابني دع البشر السذج في اوهامهم واحلامهم التي ورثوها مع دمائهم ورضعوها مع الحليب منذ نعومة اظفارهم · وليكن استعمالك العلم والحقيقة كما يستعمل الزارع البزور التي يبزرها في حقله · فانها قد تقع في ارض جيدة فتنمو وتجود · وقد تقع في ارض شائكة جافة رديئة فتموت · ولا يخطر حينئذٍ في بال الزارع ان يُرغم هذه التربة الرديئة بان تقبل بزرته وتنميها لعلمه ان ذلك فوق طاقتها · الا اذا اصلحها واعدّ تربتها لذلك الانماء من جديد · وليس البشر كالتربة فانه متى انعقدت الواحهم وخشنت عظامهم لم يبقَ سبيل لتغيير نفوسهم

الفصل الرابع

الفيلسوفان بجانب فراش مريم

ولما انتهى البغلان الى الاكمة ترجّل الشيخ والشاب حسب الاتفاق واشارا الى المكاريين ان ينتظراها في السفح · ثم صعدا الاكمة نحو البيت يتبعهما الترجمان

ويظهر ان مَن في البيت ابصروا من النافذة الرجال الثلاثة قادمين نحوهم فهرعت حنه الى النافذة ثم قالت لشيشرون بعد ان انعمت النظر في القادمين — لا اعرف هؤلاء الرجال

فدنا شيشرون من النافذة وراى منها دون ان يُرى فيها ثم قال مستغرباً . اظنهم من قومي الرومان علي ما ارى في ملابسهم

وكان الشيخ اديب رومه وصاحب البيان فيها يصعد الاكمة الهوينا . وهو يلهث تعباً من ثمانين سنة كانت تُثقل كاهله

ان الثمانين وقد بُلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

وكان يسير وهو يقول لابنه فيلسوف رومه الاعظم في الغد . استاذ نيرون . وعظيم حكماء الرومان

انظر يا بني هذا البيت الحقير الذي امامنا . انه يضم داءين داء الصرع وداء الفساد . واظن ان التبعة فيهما واقعة على رومه التي تريد ان تكون سيدة العالم . أجل يا بني ان هذا الشعب الساذج الصغير كان يعيش في بلاده الساذجة الصغيرة بسكينة وخمول . وكانت حالته ومعيشته منطبقة على اخلاقه وصفاته فكان هادئاً ساكناً راضياً . ولكن ارادة رومه اقتضت احتلال بلاده وادخال مدنيتها وزخارفها وفنونها اليه . فجاء الرومان من كل صوب يعرضون فيه ازياءهم وزيناتهم ويتمتعون على مرأى منه بثرواتهم وخيراتهم وملاذهم المحللة والمحرمة . فماذا يفعل هذا الشعب بازاء هذه المظاهر . انه ولا شك يلتمس الاقتداء بها والنسج على منوالها . ولذلك تنحل في نفسه مبادئه وآراؤه القديمة في الحياة تعلقاً بمبادىء وآراء جديدة لا توافق مزاجه . فينشأ في نفسه عن رغبته في الحياة الرومانية وعجزه عن البلوغ اليها اضطراب داخلي يجعل اعصابه متهيجة على الدوام . فيكثر فيه عدد المتهيجين والمجانين والمصروعين مرضى وغير مرضى . ولكن هذا الهياج والانفعال انما هو مرض واي مرض . اذ به تتبدل اخلاق الشخص وتسوء فيتدرج من هوة الى هوة وربما بلغ اعمق الهاويات ولم ينتبه الى نفسه ولا راى حالته امراً اداً . ولعل هذا اصح تعليل لحالة هذه المرأة المسكينة ودائيها اللذين اشرتُ اليها . فعلى رؤوسنا نحن الرومانيين تقع تبعة هذه المفاسد الاجتماعية ومنا يجب ان تكون اول تعزية واول كلمة حلوة توجَّه الى امثال هذه المرأة الساقطة المنبوذة من الارض والسماء (١)

---

(١) على هذا النسق كان كلام سنيكا الاديب لانه كان مشهوراً بالتعمل والكلفة في خطبه وكتاباته . ولا غرابة في تحليله هذا التحليل هنا لانه اشتهر في كتابه « المجادلات » بوصف اخلاق عصره وصفاً لم يجاره فيه احد ولا يوجد في غير كتاباته